بيانات الكتاب

المقرر : الجغرافيا البشرية

الفرقة: الرابعه (اساسى لائحة جديدة)

السنه : ٢٠٢١

كلية التربية بالغردقة – جامعة جنوب الوادى

رؤية الكلية

كلية التربية بالغردقة مؤسسة رائدة محلياً ودولياً فى مجالات التعليم ،والبحث العلمى ،وخدمة المجتمع ، بما يؤهلها للمنافسة على المستوى : المحلى ، والإقليمى ، والعالمى .

رسالة الكلية

تقديم تعليم مميز في مجالات العلوم الأساسية و إنتاج بحوث علمية تطبيقية للمساهمة فى التنمية المستدامة من خلال إعداد خريجين متميزين طبقا للمعايير الأكاديمية القومية، و تطوير مهارات و قدرات الموارد البشرية، و توفير خدمات مجتمعية وبيئية تلبي طموحات مجتمع جنوب الوادي، و بناء الشراكات المجتمعية الفاعلة.

جامعة جنوب الوادي قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية كلية الآداب بقنا

دراسات في
الجغرافيا البشرية

أ.د. إبراهيم دسوقى محمود

أستاذ الجغرافيا

جامعة جنوب الوادى

قنا

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحات
الفهرس	٢
مدخل	٣
الفصل الأول : الجغرافيا البشرية "تطورها وميدان البحث فيها"	٤-٢٠
الفصل الثاني : جغرافية السلالات البشرية	٢٢-٣٩
الفصل الثالث : الإنسان والحضارة	٤١-٥١
الفصل الرابع: جغرافية السكان	٥٣-٨٠
الفصل الخامس : جغرافية العمران	٨٢-٩٥
الفصل السادس :الإنسان واستغلال الأرض(أنماط مختلفة)	٩٧-١١٦
الفصل السابع :المجتمعات الزراعية	١١٨-١٢٨
الفصل الثامن : مجتمعات العالم العربي	١٣٠-١٤٨
الفصل التاسع : الإنسان والدولة (الجغرافيا السياسية)	١٥٠-١٧٤

مدخل

".....أن التطور التاريخي لأي ظاهرة في الجغرافية البشرية لا بد وأن تتبع بدراسة وضعها وتوزيعها الحالي وعلاقته مع الظاهرات الأخري"

فيدال دي لابلاش

رائد الجغرافيا البشرية الحديثة

الفصل الأول

الجغرافيا البشرية

"تطورها وميدان البحث فيها"

الجغرافيا في العصور القديمة:

يدور محور الجغرافيا حول دراسة الإنسان والبيئة والعلاقة بينهما، ومن ثم فإن تحديد تاريخ معين أو نقطة محددة كبداية لدراسة هذه العلاقة مسألة مرتبطة تمام الارتباط بالمرحلة التي حاول فيها الإنسان لأول مرة أن يتأمل بوعي وإدراك الظاهرات المحيطة به،ويتطلع فيما حوله ليبحث عن إمكانيات البيئة التي يقطن فيها وذلك من أجل الملائمة بين حاجاته ومتطلبات حياته وطبيعة الموضع الذي يقيم فيه.ومعني ذلك أن الإرهاصات الأولي للفكر الجغرافي بصورتها البدائية التي تتناسب مع تاريخ الفكر الإنساني حينذاك يمكن أن تظهر في المجهود الذي قام بها إنسان الحضارات القديمة.

فكما كان الحال في بلاد ما بين النهرين وفي الصين، ارتبط الفكر الجغرافي في مصر الفرعونية بالزراعة وحصر الأراضي عقب الفيضان وقيام حياة الاستقرار في بيئة سهلة ذلك إلي جانب تصورهم الخاص عن شكل العالم ومركز أوطانهم من هذا الشكل.

زادت المعلومات عن الرقعة المعمورة في العصر الإغريقي مع بداية القرن الرابع الميلادي؛ ذلك لنجاح الإغريق في بسط نفوذهم الحضاري والعسكري علي أجزاء لم تكن معروفة من قبل فظهرت فكرة كروية الأرض التي نشأت حينذاك كفكرة فلسفية علي اعتبار أن الكرة أكمل الأشكال الهندسية تناسقا من حيث بعد أطرفها عن المركز، وعلي اعتبار أن الأرض في نظر الإغريق أجمل المخلوقات ومن ثم لابد أن يكون شكلها كروياً.

ظلت فكرة كروية الأرض هي الفكرة السائدة عن شكل الأرض في نظر الإغريق إلي أن جاء أرسطو وبرهن علي صدقها ونادي بأن كسوف الشمس خير دليل علي ذلك – وقد تمكن بعد ذلك بعض الفلاسفة الإغريق أمثال آراتوستين من دعم هذه الفكرة عن طريق الأرصاد الفلكية

كما تمكن هيبارخوس Hipparchusبواسطة دراسته للفلك وملاحظاته لطول النهار في مناطق مختلفة من أن يتوصل إلي إيجاد مناطق عرضية أو نطاقات عرضية عرفة باسم Climate، كذلك قام بطليموس في العصر الروماني بتقسيم خريطة العالم تبعا لطول الليل والنهار، وألف كتابين جمع فيهما نظرياته العلمية، والكتاب الأول معروف باسم المجسطي واحتوي علي كل النظريات الفلكية التي كان لها تأثير قوي علي الفكر الإنساني في العصور اللاحقة إلي أن حلت نظرية نيوتن محلها. والكتاب الثاني عرف باسم الجغرافيا وناقش فيه بطليموس الأسس النظرية لشكل الأرض وأبعادها.

الجغرافيا في العصور الوسطي:

أما في الفترة الانتقالية بين العصور القديمة والوسطي – وإن كان من الصعب تحديدها بنوع من الدقة – فقد اعتقد الباحثون أنه من غير المناسب وضع الجغرافيا بين فروع الرياضة الأربعة وهي الحساب والموسيقي والهندسة والفلك أو بين الفروع الثلاثة للأدب وهي الشعر واللغة والنحو وذلك لأن الجغرافيا في نظرهم تمثل نثريات أو بقايا للمعرفة التي لا تعالجها هذه الفروع الثلاثة السائدة خلال القرن السادس الميلادي.

الفكر الجغرافي في أوروبا

جعل فاهتمام رجال الدين في العصور الوسطي بمعرفة أصل شكل الأرض وتحركات سكانها يجدون في الجغرافيا وسيلة لنشر تعليم الكنيسة. وهكذا وجدنا أن كل الكتابات التي ظهرت في إرساليات العصور الوسطي كانت تضم فصولاً عن الجغرافيا أو الكوزموجرافيا وهي العلم الذي يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام ويشمل علوم الجغرافيا الفلك والجيولوجيا، غير أن الكوزموجرافيا في ذلك الوقت كانت ذات

معان مختلفة بالنسبة لمختلف الباحثين، ففي نظر البعض كانت تعتمد أساسا علي وصف نشأة الأرض وانتشار الجنس البشري فوقه بينما يري آخرون أنها دراسة لظاهرات الطقس والمناخ والنبات والحيوان الأحجار النادرة، بينما فريق ثالث قصد بدراسة الكوزموجرافيا ما نعرفه الآن تحت اسم التاريخ السياسي.

وهكذا يبدو أن الأفكار الجغرافية في القرن الرابع الميلادي لم تعد تشكلها آراء بطليموس، كما أن آراء هيرودوت وايراتوستين وهيبارخوس لم تعد تقبل من جانب المفكرين، ومن ثم ففي الفترة ما بين القرن الخامس الميلادي وبداية القرن ١٥ الميلادي نلاحظ في أوروبا أن هناك إشارات عابرة فقط لأفكار لبطليموس وتلاميذه، كما أن جغرافيته نادرا ما ذكرت.

وربما كان سبب ذلك هو أنه في خلال القرون الأولي لحياة الكنيسة المسيحية لم تكن التساؤلات العلمية والفلسفية مقبولة بل إنها لم تجد تشجيعا من السلطات فتعاليم اللاهوت الأساسية التي قدمت إلي عقلية الناس وضعت الاختبارات والتساؤلات العلمية موضع الشجب وجعلتها سوء تطبيق لقوي الإنسان، كما أن بعض القساوسة ذهبوا إلي أبعد من ذلك فأحيوا آراء سقراط لأن الشيء الوحيد النافع هو تعليم واجبات الأخلاقيات وتعاليم الدين.

الفكر الجغرافي في العالم العربي

اختلف الفكر الجغرافي في العالم العربي في العصور الوسطي في مضمونه ومنهجه عن الفكر في أوروبا فقد كانت من أولي الأعمال العربية هي ترجمة عديد من الكتب اليونانية إلي العربية مثل كتابات جالون وهيبوقراط وبطليموس، ومن ثم فقد أقبل العرب علي الاستفادة من كتاباتهم ، ولذلك ظهرت في البصرة في غضون القرن العاشر

الميلادي أول موسوعة عربية حاول فيها العرب الجمع بين العقيدة والمعرفة وكان لهذه الموسوعة أثر كبير علي الجغرافية العربية في غضون القرنين ١١،١٢ حيث أصبحت كتابات أرسطو في نظرهم تلخيصاً للفكر الجغرافي. هذا ولم يتبع العرب كل ما ذكره الإغريق في مجال الفكر الجغرافي بل كان لديهم آرائهم الخاصة ذلك إلي جانب أنهم فندوا كثيرا من آراء بطليموس، وأعادوا حساب طول الدرجة وتوصلوا إلي نتائج دقيقة ويبدو ذلك بوضوح في كتابات البتاني والمسعودي.

وقد أخذت المعرفة العربية تتطور بفعل عامل الرحلة حيث جمعوا بواسطتها الكثير من عادات سكان البلاد وعن منتجاتها ذلك بغرض إدارة وحكم هذه البلاد ذلك بالإضافة إلي حب المعرفة وعامل الدين، كل ذلك ساعد علي ثراء التراث العربي. فمنذ القرن٧م. أخذت تتجمع لدينا معلومات وصفية عن المناطق والأشياء التي شاهدها الحجاج بأنفسهم فظهر كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه وفيه تصور "أن الأرض مستديرة" تشبه الكرة وأنها موضوعة في السماء كما توضع المحا في جوف البيضاء. وأن الجزء الشمالي من الأرض معمور غير أن الجزء الجنوبي صحراوي وذلك بسبب الحرارة الشديدة التي تسودها، ومن الكتب المشابهة لكتاب ابن خرداذبة كتاب اليعقوبي الذي ركز فيه علي التفاصيل الاقتصادية والتضاريسية، وكتاب البلخي الذي يتكون أساساً من الخرائط الإقليمية، وكتابي الأصطخري والمقدسي "المسالك.." واللذان كانا لهما أكثر من كتاب ولم يكتفيا بتسجيل الملاحظات فحسب بل سجلا أيضا كل ما سمعاه من الناس ذوي المعرفة.

وتعد أعمال الإدريسي أعظم عمل عربي في العصور الوسطي إذ يمثل نقطة احتكاك بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية إذ يلاحظ الباحثون أن الأدب الجغرافي العربي بعد الإدريسي تضمن أساسًا أدب الرحلات ولم يكن يتسم بالأصالة كما كان في الفترة السابقة وإن كان

الخوارزمي قد كتب في عام ١٢٥٠م كتاباً عن التاريخ الطبيعي علي غرار بليني Pleny كما كتب ياقوت الحموي معجم البلدان.

أما **ابن خلدون** فقد كتب "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في غضون القرن ١٤. وفي هذا الكتاب لم يفسر ابن خلدون التاريخ علي ضوء تطور النظم السياسية كما فعل اليونان بل علي ضوء تطور الأوضاع الاقتصادية للمجتمع البشري في صورته البدوية والحضرية والمدنية. وقد اعتمد ابن خلدون في كتاباته علي مصدرين أساسيين وهما بطليموس والإدريسي ومن ثم فقد قسم العالم المعمور إلي سبعة أقاليم وكل واحد من هذه الأقاليم قسمه بدوره إلي عشرة أجزاء وبعد ذلك تعرض ابن خلدون للنظرية التي انتشرت في الأدب الجغرافي العربي ومؤداها خلو البلدان الواقعة جنوب خط الاستواء من السكان لإفراط الحر فوقف منها موقف المتشكك وحاول أن يوفق بين تفكيره المتسم بالواقعية والنظرية المتوارثة عن العلم اليوناني.

أسهب ابن خلدون في مقدمته في الحديث عن البدو والبداوة وعلاقة ذلك بالحضر، فخصص الفصل الثاني "عن العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل" والفصل الرابع عن "البلدان والأمصار وسائر العمران وما يعرض ذلك من الأحوال"، وذكر أن "البدو أقدم من الحضر وسابق عليه، وأن البادية أصل العمران، والأمصار مدد لها" والحقيقة أن هذه الفصول التي تحدث فيها عن البلدان والمدن والأمصار شيقة ولا تبعد في إشاراتها عن الآراء الحديثة في علم الجغرافيا.

أما أبو الفدا فقد كتب في القرن ١٦م موسوعة علمية كبيرة تعكس الوضع الفكري في ذلك القرن حيث لخص كل النظريات التي تعرض لها الباحثون قبله ولاسيما البيروني. وفي الواقع تعكس أفكار أبو الفدا بوضوح الفكر الجغرافي العربي في أواخر العصور الوسطي حيث بدأ

يظهر تدريجياً في أواخر القرن ١٥م. عدم الاقتناع بالتراث الكلاسيكي وبالنظريات المعترف بها حينذاك وكان من نتيجة ذلك أن طرحت آراء بطليموس جانباً.

الجغرافيا في عصر النهضة (الحتمية):

شغل موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة وأثر البيئة علي التجمعات البشرية أذهان بعض مفكري عصر النهضة الذين كان من بينهم بودان Bodin الذي عاش في الفترة ما بين عامي ١٥٢٠ – ١٥٩٦م ومونتسكيو Montesquieu صاحب كتبا "روح القوانين" الذي ظهر في القرن ١٧م.

اعتنق بودان مبدأ الحتمية إذ ربط بين المناخ وطبائع الناس وحاول أن يبرهن في "الجمهورية" علي أن شكل الجمهورية ينبغي أن يتطابق مع صفات البشر المختلفة ومن ثم فقد ضرب بعض الأمثلة التي تعكس وجهة نظره الشخصية وتبين أن البيئة تؤثر في طبائع الناس وتفكيرهم فذكر أن أهل المناطق الجنوبية الحارة لهم القدرة علي التمييز بين الحق والباطل ولكن من طباعهم الأخذ بالثأر والمكر في حين يمتاز أهل المناطق الشمالية الباردة بالقسوة والمخاطرة، بينما أهل المناطق المعتدلة أكثر يقظة دون غيرهم بالقدرة علي القيادة".

وقد حاول مونتسكيو أن يربط كما فعل بودان من قبله وابن خلدون بين طبائع البشر وصفاتهم وبين البيئة، فاعتبر الإنسان كائناً فرداً أو وحدة طبيعية تقابله قوتان وهما المناخ والتربة. لم يكن المناخ في عرفه غير الحرارة كما اقتصرت أنواع التربة عنده علي الخصبة أو غير الخصبة ومن ثم أتت دراسته لها عامة وسطحية

وقد كان المناخ في نظر مونتسكيو إما حاراً أو بارداً أو معتدلا وأن الأقاليم الطبيعة لا بد وأن تقسم علي هذا الأساس ومن ثم ينتقل بعد إلي إطلاق بعض الملاحظات غير الصحيحة مثل :

- لا تشمل قارة آسيا منطقة معتدلة بمعني الكلمة بل تتلاحق فيها الأقاليم الشديدة الحرارة بالأقاليم الباردة.
- قارة أوروبا علي النقيض من قارة آسيا تشمل المنطقة المعتدلة فيها مساحة كبيرة وتحتوي علي أنواع متعددة من المناخ.
- أما مناخ أفريقيا فيشبه في ظروفه مناخ جنوب آسيا ولذلك فتأثيره علي الجماعات البشرية في القارتين مماثل، ولذلك فقارة أفريقيا مثل آسيا "ترسف في أغلال الاستعباد".

وقد تحدث مونتسكيو أيضاً عن أثر السهل والجبل في طبائع الناس وفي نظمهم السياسية فربط بين السهول الخصبة وقيام المجتمعات الزراعية والاستقرار وكيف أن الارتباط بأرض والاهتمام بالزراعة يجعل الفلاحين لا يفكرون إلي في إنتاج أرضهم. وكيف أن السهول تجذب الغزاة ومن ثم كانت مركزاً وموطناً للملكيات المستبدة والديكتاتوريات. أما سكان الجبل فتنعم بلادهم بحرية سياسية لأنهم لا يخشون شيئاً ومن ثم كانوا أقوي وأشد بأساً من قاطني السهول.

والخلاصة أن كتاب هذه الفترة وجهوا اهتمامهم لدراسة طبائع الشعوب قبل أن يهتموا بدراسة الأرض والبيئة الجغرافية التي تعيش في كنفها هذه الجماعات ولم يلجئوا لدراستها لتفسير ما يغمض عليهم من الطبائع البشرية أو نظم الحكم المختلفة. فلقد نظروا إلي البيئة الجغرافية والمجتمعات الإنسانية وربطوا بينها بعلاقات سببية دون فحص أو دراسة ولا عجب في ذلك إذ أن هدفهم كان التبرير لا التعليل.

الجغرافيا في العصر الحديث:

منذ أن بدأت الكشوف الجغرافية الكبرى في عصر النهضة طرأ علي الجغرافيا تغيراً كبيراً، وقد ظهر أثر هذا التغير في اتساع رقعة المعمورة وفي تطور الفكر الجغرافي ودراسة الإنسان والبيئة. وعلي الرغم من هذا التقدم إلا أن نمو الجغرافيا الحديثة كان بطيئاً. ففي أثناء القرن ١٨ وهي

الفترة التي تقدمت فيها العلوم الطبيعية ظهرت نظريات مختلفة تفسر وجود المجموعة الشمسية وتشرح تكوين تضاريس القشرة الأرضية. ففي عام ١٧٦٦ ظهرت نظرية كانت Kant التي أرجع فيها تكوين المجموعة الشمسية إلي قوتي الجذب والطرد للأجسام الصغيرة الصلبة التي كان يزخر بها الكون، كما ظهرت نظرية الأرضTheory of earth لجيمس هتن Hutten بعد ذلك بحوالي ثلاثين عاماً.

وقد ذكر في هذه النظرية أن القوانين هي المسئولة عن تكوين التضاريس القشرة الأرضية إذ بسببها تمدد الصخور الداخلية الذاتية لأنها كانت متنفساً لها ومن ثم تجمعت القشرة الخارجية للأرض وتكونت مظاهر التضاريس.

كارل رتر وهمبولت:

وقد كان لتأثير نظرية دارون ومبادئ لايل أثر قوي علي دراسة الجغرافية بصفة عامة ولا سيما علي دراسة الجغرافية النباتية والحيوية، وعلي دراسة الإنسان ذاته وعلاقته بالبيئة الطبيعية ومدي ملاءمته لها والبحث عن أسباب وسبل هذا التوافق أو عدمه.

ومن ثم فأقبلت الجغرافيا علي العلوم التي تتصل بالإنسان والبيئة تنهل منها بشغف لتفسير عمليات الملاءمة المادية في ظل نظرية دارون فأخذت تستعين بعلم المناخ والأنثربولوجيا والتاريخ وغيرها من العلوم الاجتماعية، كما تبني كارل رتر وهمبولت وراتزل في ألمانيا هذه النظرية التي لا يزال لها أثر كبير في الفكر الجغرافي حتي الآن. فقد حاول ريتر أن يحدد العلاقة بين تاريخ الإنسان وبيئته الطبيعية National environment واعتمد في ذلك علي الملاحظة الدقيقة المقارنة المتضمنة البحث عن القوانين الطبيعية التي يعيش في ظلها الإنسان.

أما عن همبولت فقد رحل إلي أمريكا الجنوبية والوسطي في الفترة ما بين عامي ١٧٩٩ ـ ١٨٠٤م وظهرت نتائج رحلاته في كتاباته التي ظهرت في الفترة ما بين عامي ١٨٠٤ – ١٨٢٥م والتي من أشهرها كتاب"العالم Cosmas

وفي الواقع لقد سبق كارل رتر وهمبولت عصرهما إذ لم تكن لديهم المادة أو الأدلة الكافية لكي يصفا نظريات عامة أو قواعد ومن ثم كان علي أتباعهم الذين ساروا علي نهجهما أن يجمعوا مزيدا من الأدلة ويواجهوا الصعاب التي واكبت التطور السريع والتي من أهمها التخصص الدقيق.

ففي عهدهما لم تكن الكشوف الرئيسة لقارة أفريقيا قد تمت بعد لأن وسط أفريقيا لم يعرف قبل عام ١٨٨٠م، كما أن أجزاء كثيرة من قارة آسيا والتي كتب عنها رتر وهمبولت ظلت في عداد الأراضي المجهولة إلي أن تمكن الرحالة الروس وغيرهم من المكتشفين أمثال سفين هيدين، وأوريل ستين وريتشهوفن من كشف أسرارها في أواخر القرن التاسع عشر.

كما أن الرحلات التي قامت بها الباخرة تشالينجر Challenger في الفترة ما بين عامي ١٨٧٠ – ١٨٧٣م كان من نتائجها تحديد أعماق المحيطات ومعرفة طبيعة تحركات المياه السطحية بها، ذلك بالإضافة إلي أنها أمدتا بمعلومات وافية وأولية عن مناخ المحيطات إذ تمكن بوشان Buchan الميترولوجي الذي ذهب في الرحلة من رسم أول خرائط للضغط والحرارة الخاصة بالعالم والتي تعتبر أصل الخرائط المناخية الموجودة في خرائطنا في الوقت الحاضر.

فردريك راتزل (الحتمية):

ورغم الجهود السابقة فقد ظلت العلاقة بين الإنسان وبيئته غامضة حتي نهاية القرن التاسع عشر حينما نشر راتزل Ratzel.F كتابه

"جغرافيا الإنسان Anthrop graphic (١٨٩١ – ١٨٩٢) وعرف فيه الجغرافيا البشرية بأنها دراسة مظاهر سطح الأرض وعلاقتها بالإنسان علي أسس منظمة وبعبارة أخري فقد حاول أن يدرس نشاط الإنسان البيئي وكيفية استغلال الأرض مؤكداً في معظم كتاباته حتمية القوي الطبيعية علي نشاط الإنسان مهما بلغت بساطته.

وقد كان لنظرية النشوء والارتقاء لداروين بالغ الأثر في تفكير راتزل الجغرافي فنري تطبيقها واضحًا في كل أعماله ففي كتابه "جغرافية الإنسان" درس توزيع التجمعات البشرية في مجال أنشطتها المختلفة، والعوامل البيئية الطبيعية التي تؤثر في هذا التوزيع وأثر البيئة المباشر علي المجتمع. كما أنه في كتابه الثاني عن الجغرافية السياسية Politics geographic الذي نشر في عام ١٨٩٧ تعرض رتزل للقوانين الطبيعية التي تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، فدرس الدولة علي ضوء علاقاتها بالبيئة وأساسها الطبيعي الفزيوغرافي أي الأرض التي يشغلها.

وقد وجدت آراء وأفكار راتزال صدي وتأكيد صدي وتأكيد كثير من الكتاب مثل مس ألين سمبل Ellen simple في أمريكا وديمولان Demolin في فرنسا وغيرهم من أصحاب فلسفة الحتم الجغرافي الذين اعتنقوا نظريات راتزال في كتاباتهم فاندفعت مس سمبل تؤكد في عزم وإصرار – بعد أن أعادت كتابة جغرافية الإنسان بشكل أكثر تنظيمًا في عام ١٩١١ – أن الإنسان ابن البيئة التي تطعمه وتوجه أفكاره وتضع الصعاب في طريقه ثم تهمس له في أذنه بالحل أما ديمولان فذهب ليشرح "كيف يخلق الطريق الطراز الاجتماعي أو كيف مهد الحصان نبات الاستبس للإنسان".

ولقد قوبلت آراء راتزال بنقد مرير من علماء الأنثربولوجيا والاجتماع والتاريخ. فرفض الأنثربولوجيون الاعتراف بأن البيئة الطبيعية

هي المسئولة أولاً وأخيراً عن الاختلافات العقلية والنفسية الموجودة بين الجماعات البشرية، وأنكر دوركيم Durkheim علي راتزل دراسته لكل تأثيرات البيئة الطبيعية في الحياة الاجتماعية، بينما هاجم لوسيان فيفر Lucien Fever راتزال بقوة وذهب ليفند آرائه بجرأة ويقدم البراهين علي سذاجة وضيق أفق الحتميين.

ويذكر لوسيان فيفر أيضاً في تحليله لآراء راتزل وأتباعه "أن الظروف الجغرافية قد تختلف في المنطقة الواحدة في القوة والقيمة فمثلا قد تستفيد المدينة وهي في دور الطفولة من بيئة منعزلة محصورة تجد فيها الأمان. ولكن نفس البيئة (بنفس الصفات التي تتميز بها والتي كانت ذات فائدة كبري في مرحلة سابقة) وقد تصبح عائقاً لها في وقت آخر، وقد عُرفت تلك الفترات كل من مصر وفينيقيا وكريت وشبه جزيرة اليونان، فكل منها كانت تتمتع بشيء من العزلة مكنها من اكتساب ميزتها الخاصة في بيئة آمنة. ولكن بعد أن اكتمل نموها لم تصبح للعزلة ميزة.

ثم يستطرد في قوله : " تقوم المجتمعات البشرية وتنمو وتزدهر عند نهايات الطرق التجارية العالمية في نقط التقائها... هذا كله صحيح ولا يدعو إلي النقد بشرط ألا يكون هناك أي حديث عن الضروريات. فليس هناك ضرورة حتمية صلبة آلية

فيدال دي لابلاش (الإمكانية):

ظهرت في خلال القرن العشرين طرق عملية متنوعة لدراسة العلاقات المكانية. ففي فرنسا مثلا كانت الجغرافيا في خلال القرن الماضي يقوم بتدريسها المؤرخون الذين كانوا يشيرون دائما إلي الجغرافيا علي أنها مجرد وصف لتأثير البيئة علي التطور التاريخي. ولهذا فقد وجه فيدال لابلاش نظر علماء عصره في عام ١٨٩٩م إلي أن الجغرافية

لا يصح أن يزج بها في الدراسات التاريخية وأن الدراسات الحقلية Field work يجب أن تتضمن في أي مسح جغرافي.

اعترض فيدال دي لابلاش علي حتمية راتزل وأتباعه ونادي باحترام قدرات الإنسان وإمكاناته. كما ذكر في كتابه الذي صدر في عام ١٩٢٢ أن التطور التاريخي لأي ظاهرة في الجغرافية البشرية لا بد وأن تتبع بدراسة وضعها وتوزيعها الحالي وعلاقته مع الظاهرات الأخري.

وهكذا استجد علي الجغرافية مبدأ جديد يتلخص في الإمكانية، غير أن ظهور هذا المبدأ لا يعني انقراض المبدأ القديم إذ ظل بعض العلماء يعتنقون هذا المبدأ حتي النصف الثاني من القرن العشرين. غير أن حتميتهم كما تظهر في كتابات جريفث تيلور. كانت حتمية مؤقتة تتلخص في ثلاث كلمات وهي Stop & Go & Determinism وبعبارة أخري فهذه حتمية حديثة تتلاعب بالألفاظ فتستبدل الضابط بالمؤثر والتأثر بالاستجابة أو التكيف.

والإمكانيون بصفة عامة أكثر حذراً وحيطةً من الحتميين في معالجة موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة فلم يتطرفوا في تحميل الإنسان أكثر من طاقته بل أكدوا الوحدة الجغرافية وحاولوا إبراز جانبها البشري والطبيعي أولاً ومن ثم النواحي البشرية المختلفة التي ترتبط وتتأثر وتؤثر في الجانب الطبيعي.

والخلاصة أن الجغرافيا في نظر أصحاب الإمكانية لم تكن مهمتها في أي ناحية من نواحي دراستها هو البحث عن القوانين الجغرافية أو وضعها وإنما مهمتها الأساسية هو دراسة الإنسان والأرض أو دراسة التجمعات البشرية وعلاقتها بالمسرح الجغرافي الذي تقيم عليه. أي أن المهمة مهمة فكرية قائمة علي التوزيع والربط والبحث عن المسببات والعلاقات التي وراء هذا النمط أو التوزيع. وبطبيعة الحال تشابه الظروف الجغرافية في بعض الأماكن قد يؤدي في بعض الأحيان إلي إطلاق التعميمات ولكن لا

يمكن أن تتخذ من هذه التعميمات قوانين نطبقها علي كل إقليم إذ أن الشخصية الذاتية لكل إقليم لها قيمتها التي تؤثر في الصورة النهائية أو الوحدة الجغرافية التي يظهر عليها الإقليم.

هذا هو الإطار العام الذي رسمه فيدال دي لابلاش للتفكير الجغرافي في فرنسا منذ أن شغل كرسي الجغرافيا في جامعة السربون عام ١٨٩٨م والذي سار علي نهجه من بعده عدد من التلاميذ المخلصين الذين دافعوا عن آرائه بحماس لا يقل بأي صورة من الصور عن حماس لابلاش نفسه ومن بين هؤلاء ديمانجون A. Denangeon و J, Qumbas اللذان كتبا مقالات عديدة في هذا الصدد في دورية Annals 'Geographies في خلال الفترة ما بين عامي ١٩٢٠ – ١٩٢٩م. هذا وقد عرف ديمانجون الجغرافية علي أنها دراسة المجموعات البشرية والمجتمعات وعلاقتها بالبيئة مع تأكيد أهمية العامل التاريخي في دراسة المحلات العمرانية.

أما في إنجلترا فقد قاد التفكير الجغرافي الحديث روكسبي P.M. Roxby وفلير Fleure فنشر الأول في عام ١٩٣٠ مقالا في مجلة Geog. Magazine،وضح فيها أن التأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة هو محور الدراسة البشرية التي تتجه لدراسة الجغرافية الجنسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتي يظهر بوضوح التأثير المتبادل بين الإنسان والأرض ومدي التكيف بينهما.

أما فلير فهو من عمالقة الجغرافية البشرية في إنجلترا ومن أشهر مؤلفاته "دهاليز الزمن The centaurs of time (١٩٢٧ – ١٩٥٦م) الذي جمع فيه بين الدراسات الأركيولوجية والأنثربولوجية والجغرافية ليخرج لنا بالاشتراك مع بيك Peake. قصة تطور الإنسان من البربرية إلي المدنية.

الثنائية في الجغرافيا :

وإذا كان هذا هو الاتجاه العام الذي تبلور فيه التفكير الجغرافي في النصف الأول من القرن العشرين إلا أنه نتيجة لتطور العلوم وزيادة المعلومات الجغرافية الخاصة بالإنسان والأرض ظهرت بصورة واضحة الثنائية في الجغرافية ووجد من الباحثين من فصل بين الجغرافية الطبيعية وجانبها البشري وفرق بين المظهر الحضاري Culture landscape وما يتصل به من دراسة الجغرافية الحضارية Cultural geography وبين المظهر الطبيعي Physical landscape وما يتصل به من دراسة الجغرافية الطبيعية Physical geography.

ويشمل القسم الأول دراسة السكن والسكان ووسائل النقل، والإنتاج الصناعي والزراعي والمعدني، وبصفة عامة الاستغلال الاقتصادي للأرض والمظاهر المادية الملحوظة الناتجة عن تفاعل الإنسان مع البيئة. ويرتبط بهذه المظاهر المادية الملموسة بعض النواحي الحضارية والسياسية التي هي جزء لا يتجزأ من الاستقرار البشري.

أما القسم الثاني فيضم دراسة المناخ ومظاهر التضاريس المختلفة والتربة والثروات المعدنية والمياه الباطنية النباتات والحياة الحيوانية بجميع مظاهرها.

وفي الواقع أن هذا التقسيم كان من نتيجة التخصص الدقيق الذي صاحب التقدم العلمي السريع أبان العصر الحديث. غير أن التطرف في هذا التخصص يفقد وحدة الجغرافية التي نادي بها فيدال دي لابلاش إذ أن هناك ظاهرات طبيعية النشأة غير أن الإنسان أدخل عليها تعديلات مختلفة كزراعة التربة مثلاً ومن ثم الظاهرات المادية بشريها الطبيعي والبشري هي عناصر الوحدة الجغرافية التي يجب ألا يهمل عنصر من عناصرها.

هذا وقد شهد القرن العشرين تقدماً ملحوظاً في ميدان الجغرافية الطبيعية بفضل الدراسات الحقلية المختلفة التي تقدم بها العلماء

والمهتمين بهذه الدراسة لتفسير نشأة الأرض وتوزيع اليابس والماء، ولشرح الظاهرات التضاريسية الرئيسية والعوامل المختلفة التي تؤثر في تاريخها الجيولوجي وتشكلها، ولتفسر أيضا بعض الظاهرات الجوية المعقدة كالأعاصير، والانخفاضات الجوية وتقسيم العالم إلي أقاليم مناخية.

أما بالنسبة لتوزيع اليابس والماء فقد نشر فجنرWegner في عام ١٩١٢م مقاله المعروف عن نشأة القارات والمحيطات والذي شرح فيه نظرية زحزحت القارات. كما أن جولي Jolly تقدم بعد ذلك بنظرية أرجع فيها سبب زحزحة القارات إلي الحرارة الناتجة عن تفاعل العناصر الإشعاعية التي يغلب وجودها في القشرة الأرضية في طبقة لا يتعدي سمكها ٢٠ ميلاً وبذلك ناقض رأي فجنر الذي يرجع زحزحة القارات إلي تأثير القوة الطاردة المركزية وقوة جذب الشمس والقمر للأرض.

وإلي جانب ذلك فقد تقدمت أيضا في تلك الفترة دراسة النباتات الطبيعية إذ أنها مرتبطة تماما بالجغرافية المناخية ومن ثم خطت الدراسة الخاصة بإظهار هذا الترابط وشرح أساسه ومبادئه خطوات سريعة إلي الأمام وأصبحت تدخل في نطاق علم الأيكولوجيا Ecology الذي يجعل الفضل في خلقه إلي عالم النبات الألماني Kackel.

المراجع:

١. عبد الفتاح وهيبة، الجغرافيا البشرية وتطورها ومفهومها، منشورات جامعة بيروت العربية، ١٩٦٦.

٢. لوسيان فيفر، الأرض والتطور البشري، ترجمة: محمد السيد غلاب، مجموعة الألف كتاب، عدد ١٩٤٩، الجزء الثاني.

٣. محمد السيد غلاب، البيئة والمجتمع، القاهرة، ١٩٦٩.

٤. يسري الجوهري، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، الإسكندرية، ١٩٧٢.

٥. ـــــــــــــ ’المضمون البشري في الجغرافيا،دار الإشعاع للنشر،١٩٩٩م.

- المراجع غير العربية:

1- Ackerman, E., Geography as a fundamental research discipline, Chicago, 1958.
2- Beazley, R., The dawn of modern geography, 1897.
3- Bruneges, J., Human geography, London, 1928.
4- Dickinson-Haworth, making of geography, Oxford, 1934.
5- Febre, L., Geography introduction to history, London, 1925.
6- Hartshorne. E., The nature of Geography, A.A.A.G., 1959, Vol. XVIX.
7- Kimble, G.H.T., Geography in the middle ages, London, 1963.
8- Wooldridge, (S.W) and East (W.G.), The spirit and purpose of geography, London, 1956.
9- Sample (E.), Influence of Geographic environment, N.Y., 1911.
10- Ththam. G., Geography in the 19th century, In Geography in the twentieth century, edit by G. Taylor, London, 1951, P.29.

الفصل الثاني

الأصول السلالية للبشر

(جغرافية السلالات البشرية)

مقدمة.

تمثل جغرافية السلالات البشرية فرعاً حيوياً من فروع الجغرافيا البشرية ، وتهتم بدراسة الإنسان من حيث أصلة وسلالاته ومميزاته الجسمانية وهجراته والمسالك التي اتخذتها في ضوء ظروف البيئة الطبيعية ، وتعتمد علي علم الإنسان أو علم الانثروبولوجيا " Anthropology "

انصب الاهتمام بدراسة الجنس البشريRaces of Mankind في البداية علي علماء "الأنثروبولوجيا الطبيعية" Physical Anthropology والذين ركزوا علي تطور الإنسان وتتبع أصوله القديمة مع الاستعانة في ذلك بعلوم أخري مثل "البيولوجيا Biology (علم الأحياء) وأيضاً "الأثنولوجي Ethnology والذي يهتم بدراسة الحضارات في الوقت الحاضر و"الآركيولوجي Archeology (علم الآثار)، وقد زاد الاهتمام بأصول الإنسانية الأولي وثار جدلاً واسعاً بشأنها عقب نشر كتاب "أصل الأنواع Origin of Species" لتشارلز دارون سنة ١٨٥٩م، والذي رسم فيه صورة مركبة لتتابع الأحياء وكيف أن البسيط يسبق المعقد ويتقدمه زمنياً، وحاول "دارون" في كتابه هذا إثبات علاقة إحيائية بين القديم والحديث.

أما علم الجغرافيا فقد اهتم منذ نشأته بدراسة الإنسان كأحد أضلاع اهتمام الجغرافيا ذاتها (الإنسان، المكان) ، واستفادت الجغرافيا في دراستها لتطور الإنسان وانتشاره بالعلوم المتصلة بدراسة الإنسان كالأنثروبولوجيا والبيولوجي والإثنولوجي والآثاروالتاريخ وغيرها من العلوم الأخري، وأفرز ذلك إضافات جغرافية لها أثراً ملموساً في جغرافية السلالات البشرية من حيث دراسة نشأة الإنسان وموطنه الأصلي ثم انتشاره ومسالك هذا الانتشار علي بقاع المعمورة، وتميز كل مجموعة بشرية

بصفات خاصة وسمات مميزة تعكس تشابهاً بينها وتبايناً مع غيرها ودور العوامل البيئية والبشرية المتفاوتة في هذا التشابه وذلك الاختلاف.

تشترك الأحياء البشرية في أصل واحد انتابه التغير كنتيجة لمقتضيات تغير البيئة الجغرافية وقد انتقل هذا التغير عن طريق الوراثة من السلف إلي الخلف فحدث تغير سلالي خلال أجيال متعاقبة ومتعددة ، ثم ما تلبث أن تختلف الفروع عن الأصول بعد مرور فترة من الزمن وتكّون هذه الفروع أصولاً مستقلة والأخري بدورها تتفرع منها فروع أخري وهكذا.

الطفرة Mutation

تسهم "الطفرة " في إحداث التغير السلالي، والطفرة عبارة عن ظهور صفات وراثية جديدة مفاجئة أثبتت جدارتها وتكيفت مع البيئة، وتحدث نتيجة لاختلافات في التكوين الكيميائي للوحدات الوراثية أو الكروموزومات وتكون الطفرة مسئولة عن تكون نوع جديد يصبح فرعاً قائماً بذاته منفصلاً عن غيره من حيث الأصل وبمرور الزمن تقوي الصفات الطافرة في النوع الجديد وتزداد تخصصاً وتبعد تماماً عن الفرع الذي تشعبت منه إلي أن تدخل في دائرة جنس جديد.

إضافة إلي الطفرة هناك عوامل أخري لها دور فعال في عملية التغير السلالي التي تنتاب النوع الواحد "كالاختيار الطبيعي Natural Selection" و "الاختلافات العشوائية Genetic Drift" والمسئولة عن اختيار الإمكانات والصفات التي يمكن أن تعمر مع البيئة، ومعني ذلك أن الوراثة والبيئة كانا أساس عملية التطور عبر التاريخ إذ أن التطور في حد ذاته ليس إلا نتيجة لعمليات تلائم الكائنات مع البيئات المختلفة التي يعيش في كنفها الإنسان.

ظهور الإنسان:

انتاب كوكب الأرض خلال الزمن الرابع (البلايستوسين) تقلبات مناخية وتطورات في البيئة الجغرافية فحدثت فترات جليدية في العروض الشمالية بينما شهد ت العروض الوسطي فترات مطيرة، بالإضافة إلي أن العلقة بين اليابس والماء أخذ شكله النهائي خلال هذه المرحلة.

تؤرخ أقدم البقايا البشرية التي وجدت للإنسان إلي عصر البلايوستوسين والتي ترجع إلي أقدم من مليون سنة، وقد تطور الإنسان تطوراً سريعاً في البلايوستوسين واتفقت فترة تطوره السريع مع الأدوار الجليدية البلايستوسينية ولذلك يربط العلماء بين الحدثين ـ تطور الإنسان وظهور الجليد ـ ويعتبرون الحادث الثاني مؤثراً في الأول واتخذ العلماء آثار الإنسان دليلاً علي الزمن الذي استغرقه في تطوره.

الموطن الأصلي للإنسان:

أدت التنوعات السلالية وتباين الصفات الجنسية للمجموعات البشرية وكذلك التغيرات الجغرافية التي شهدها المسرح الجغرافي للإنسان خلال البلايوستوسين إلي التساؤل عن "المهد الأول" للإنسان والذي نشأ وتطور فيه وانتشر منه بعد ذلك إلي بقاع المعمورة؟

وقد انقسم رأي العلماء بشأن الموطن الأصلي للإنسان إلي ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

نادي بأن الموطن الأصلي للإنسان كان قارة آسيا.

الاتجاه الثاني:

ذهب إلي أن أفريقيا كانت الموطن الأصلي للإنسان.

الاتجاه الثالث:

رأي أصحابه بأن الوطن الأصلي للإنسان كان يمثل جزءاً من آسيا وجزءاً آخر من أفريقيا، وتحديداً وسط وجنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا.

حاول أصحاب كل رأي من هذه الآراء الثلاث أن يبرهن علي صحة فرضه علي أساس الاكتشافات الأثرية والبقايا الإنسانية، وإن كانت هناك عدة أسس يجب وضعها في الاعتبار عند الحديث عن الموطن الأصلي للإنسان، أهمها:

- ملائمة الموطن الأصلي لطبيعة جسم الإنسان، أي أن البيئة الجغرافية لابد وأن تتمتع بمناخ معتدل بين الحرارة والبرودة وأن كمية الأمطار تكون مناسبة لحياة نباتية متوسطة الكثافة وإمكاناتها تسمح بالصيد.
- لابد وأن يتصف الموطن الأصلي بسهولة الحركة منه وإليه أي ملاءمته للهجرات المتعددة التي قام بها الإنسان والتي أدت إلي انتشاره إلي جميع بقاع العالم ومن ثم تكوين أجناس بشرية متعددة ومتباينة وإن كانت ذات أصول واحدة.

وبناء علي هذه الاعتبارات استبعد العالم الجديد إذ لم يكن إلا وطناً لمجموعة بشرية واحدة وهي الهنود الأمريكيين وكذلك استبعد الجزء الشمالي والأوسط من أوروبا والذي شهد فترات جليدية إبان نشأة الإنسان كما اتضح سابقاً وكذلك الحال شمالي آسيا والمناطق الوسطي الاستوائية في أفريقيا، ويطرح البعض إقليم جنوب شرق آسيا أيضاً نظراً لتطرف موضعه، إلا أن بعض الباحثين يضعه ضمن أقاليم الإنسان الأول، علي هذا الأساس يصبح إقليم جنوب غرب آسيا وشمالي أفريقيا وشرقها المواضع الأكثر احتمالاً لأن تكون هي الموطن الأصلي للإنسان في ضوء الاعتبارات التي يجب توافرها في المكان الأول للإنسانية.

انتشار الإنسان:

بعد أن استجمع الإنسان قواه عن طريق التنظيم الاجتماعي والحضاري في الفترة ما بين (٥٠.٠٠٠ ـ ١٠.٠٠٠ ق. م.) وبعد أن اتخذ من شمال أفريقيا وشرقها وأيضاً جنوب غرب آسيا وطناً له وبعد أن نمت صفاته الجنسية وقدراته الحضارية بدأ في الانتشار إلي بقية أنحاء العالم القديم والهجرة إلي العالم الجديد، ففي هذه الفترة بدأت الاختلافات السلالية تظهر في مناطق جغرافية واضحة المعالم ويمكن مقارنتها بغيرها، وكانت هذه الاختلافات الجنسية نتيجة لملائمة المجموعات البشرية لظروف بيئتها علي مر السنين.

فارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها وسهولة الأرض وخصوبتها وجفاف الإقليم أو رطوبته ووفرة العيش أو قلته واختلاف خطوط الطول ودوائر العرض... كلها عوامل تجمعت سوياً وتعاونت لتُظهر التفاوت في السلالة.

المجموعات السلالية الأساسية الكبرى:

المجموعة الزنجية:

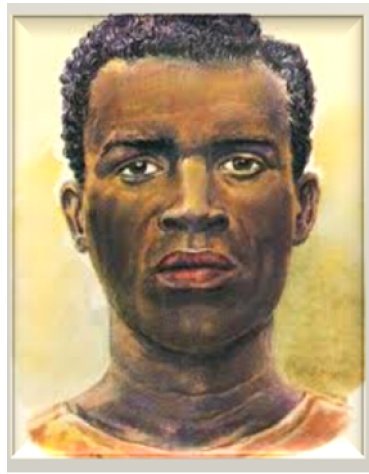

انتشرت في المناطق الاستوائية بأفريقيا بصفاتها المميزة (البشرة السوداء، الشعر المجعد والمفلفل، الشفاه الغليظة المقلوبة، تفاوت طول القامة ما بين الأقزام إلي القبائل النيلوتية أطول الجماعات البشرية) ولا يعرف المكان المحدد لانتشار الزنوج ولكنه يرجح أن السودان الغربي هو الموضع الملائم.

ويرجح أن الزنوج توسعوا قبل القرن الخامس عشر علي حساب

سلالة البشمن، وتعد المجموعات الزنجية التي تعيش في جنوب شرق آسيا والجزر المتاخمة لها جماعات قديمة خاصة أقزام الهند وجزر الإندمان وشبه جزيرة الملايو...

المجموعة القوقازية:

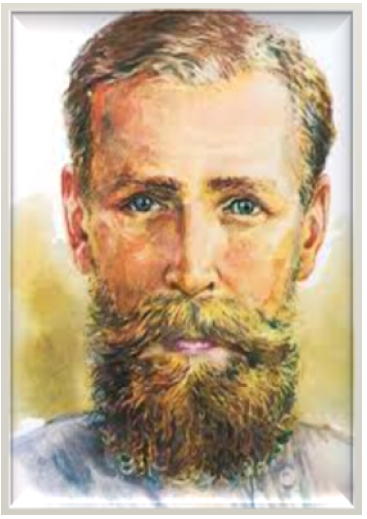

عمرت هذه السلالة منطقة واسعة تمتد شمال إقليم الزنوج في أفريقيا واشتملت علي شمال أفريقيا وغرب آسيا في الهند وسيلان وقد وصل القوقاز إلي أوروبا عن طريق شمال أفريقيا عبر جبل طارق ثم غرب أوروبا والطريق الآخر عبر حوض الدانوب ومن ثم شمال غرب أوروبا وقد استطاعت هذه الجماعات نقل الزراعة إلي حوض الدانوب وبلجيكا وفرنسا وشواطئ المتوسط.

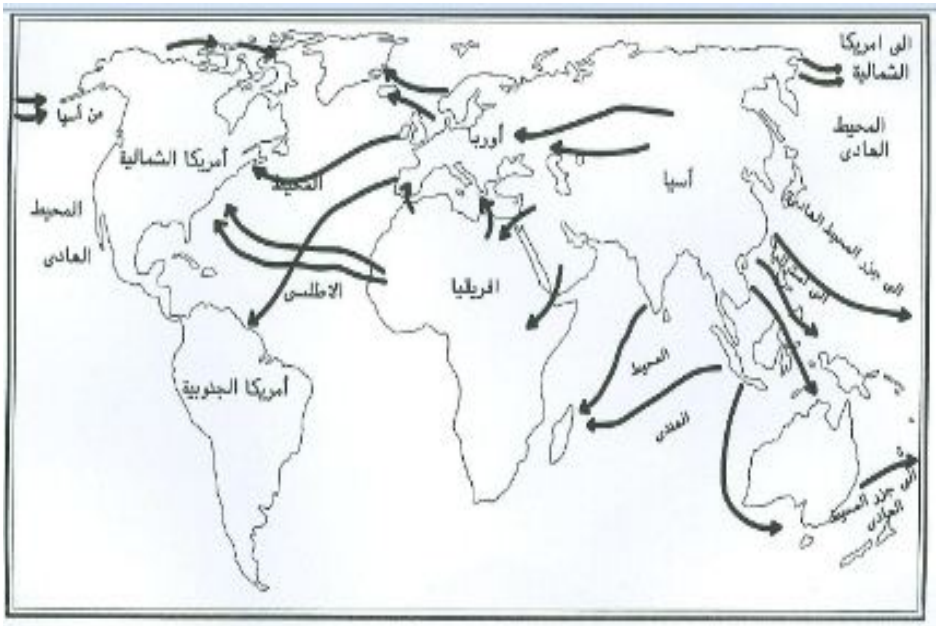

محاور انتشار الانسان بالكرة الارضية

المجموعة المغولية:

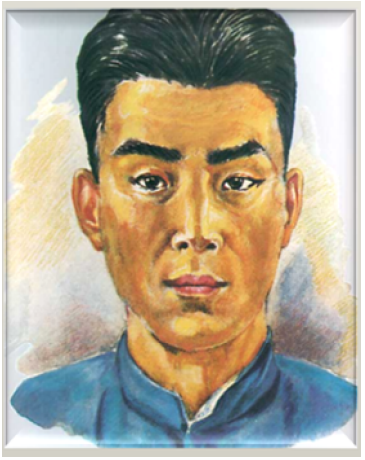

تحتل السلالة المغولية منطقة واسعة إلي الشرق من الإقليم القوقازي، حيث تغطي شمال وشرق آسيا حتي شبه جزيرة الملايو وسومطرة وغيرها من جزر الهند الشرقية كما تشمل اليابان وفرموزا (تايوان) ومناطق أخري في العالم الجديد تقطنها عناصر مغولية، والصفات السلالية للمغول هي (الشعر الأسود الخشن المستقيم، الأنف الضيق المفلطح العريض، اللون الأصفر أو الزيتوني أو البني، العيون الضيقة ذات الجفون السميكة) ويعد إقليم شمال شرق آسيا الموطن الأصلي للمغول حيث اكتسبت في هذه المنطقة القدرة علي تحمل البرودة الشديدة، وقد وقفت السلاسل الجبلية في وسط آسيا عقبة أمام توسع السلالة المغولية غرباً، لذا كان توسعهم تجاه الشرق والجنوب.

المجموعات السلالية الفرعية:

البشمن:

كانوا ينتشرون في بادئ الأمر في إقليم متسع بأفريقيا وينحصرون حالياً في صحراء كلهاري ويتصف البشمن بالقامة القصيرة (٥ أقدام) ولون البشرة بني مائل للاصفرار والوجه مفلطح والشعر مفلفل.

الأستراليون:

هي المجموعة الفرعية الثانية وتشتمل علي عديد من الجماعات القديمة لا يوجد بينهما أي صلة قرابة وتحتوي علي "الأستراليون الأصليون" الذين يعيشون في المناطق المعتدلة في جنوب شرق استراليا

و"الدرافديون" في جنوب وجنوب شرق الهند و"الأينو" سكان اليابان الأصليون.

البولينزيون والميكرونزيون:

هم المجموعة الثالثة الفرعية،وهم سكان جزر المحيط الهادي ويتصفون بـ " البشرة السمراء ، شعر أسود ممـوج ، عيون سوداء، أنف ضيق بارز، فم صغير، شفاه صغيرة، قامة متوسطة" ، وإن كانت بعض عناصرهم تتسم بطول القامة كما هي الحال في جماعة التانجوس، وقد اختلطت هذه السلالات الفرعية بعناصر سلالية أخري كالمغول والقوقاز وكذلك التزاوج الداخلي بينهما.ولكن يتبقي التساؤل عن معايير التصنيف السلالي للبشر، وما هو مدلول السلالة وتعريفها؟ قبيل التطرق لتوزيع الجنس البشري في العالم

تعريف السلالة:

تعد السلالات البشرية الحالية أفراداً لنوع واحد، والنوع عبارة عن مجموعة جنسية متجانسة لا تستطيع تحت الظروف الطبيعية العادية التزاوج مع غيرها من الأنواع.

السلالة: تعني التسلسل الأحيائي والذي يتضمن بدوره مفهوم الوراثة والتزاوج الداخلي بين أفراد المجموعة والمؤدي في النهاية إلي التجانس التام في الصفات الجسمية بين أفراد هذه المجموعة وإلي تكوين سلالة نقية لا يدخل في دمها دم آخر مختلف، وإن كان ذلك لا يحدث إلي في حالات نادرة بين الشعوب البدائية والمنعزلة ومثل هذه السلالات الأقرب إلي النقاء مصيرها إلي الانقراض كما حدث مع التسمانيين.

ولكي نعرف "السلالة" أو "النوع الفرعي" لا بد وأن يكون علي الأقل ما يقرب من ٧٥% من أفراد المجموعة يتحدون في صفاتهم البيولوجية المقارنة وذلك ما يعرف باسم "قاعدة ٧٥% 75%

Percent Rule"، فإذا ما طبقت هذه القاعدة فسوف تقسم السلالات إلي أنواع فرعية البيض (القوقاز) المغول (الجنس الأصفر الآسيوي) الزنوج (السود الإفريقيون) ويسمي الانثربولوجيون هذه الأنواع باسم المجموعات البشرية الكبرى أو الرئيسية، وداخل هذه المجموعات يوجد عدد من السلالات الفرعية.

حاول الإنسان منذ القدم معرفة ذاته وسط بقية شعوب العالم وإن كانت كل فئة تضع نفسها في قمة التميز البشري وتضع غيرها في درجات متدنية، فالإغريق كانوا يعتقدون بأنهم الأفضل والأحسن مرتبة من الشعوب الأخري، كما أشار هيرودوت (القرن الخامس ق. م) إلي أن الفرس كان شعورهم بأنهم أكثر ثقافة عن جيرانهم، وينطبق ذلك أيضاً علي الرومان.

ثم جاءت الأديان السماوية وحرمت فكرة التميز والتصنيف بين البشر علي أسس عرقية وغيرها فكانت المسيحية تنادي بالإخاء ونادي الإسلام بأنه "لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوي..." إلا أن ذلك لم يمنع من وجود تصنيفات وتمايزات علي أسس جنسية وعرقية.

وإبان عصر الاستعمار كانت هناك كثير من الآراء تنادي بأن الرجل الأبيض عليه سيادة الشعوب الملونة ووصل ذلك الأمر إلي إبادة شعوب واستخدام القوة في ذلك (الهنود الأمريكيين ـ الزنوج...)، كما شاعت فكرة السيادة الألمانية والجنس الآري وإبادة العبيد واليهود.

وفي العصر الحديث بدأت الآراء تتفاوت في السلالات البشرية فمن هذه الآراء ما ربطت بين السلالة والحدود السياسية فاستخدموا السلالة البروسية واللاتينية وأيضاً السلالة اليهودية... ويبدو هنا الخلط بين السلالة وبين القومية والشعوبية واللغة وأيضاً الدين كما هي الحال في السلالة "اليهودية"، فهذا التصنيف خطأ علمي لا يرتكز علي أسس علمية

فالسلالة "اللاتينية" في ذلك التصنيف تحتوي داخلها علي عدة سلالات يمكن تمييزها حسب الصفات الجسمية.

ونفس الوضع ينطبق علي استخدام لفظ سلالة علي الجماعات المتحدثة بلغة واحدة أو التي ترتبط حضارياً، فظهرت تبعاً لذلك عدة تقسيمات لأوروبا مثل "الجرمان، السلاف، اللاتين" وهذا التقسيم ذو قيمة وأهمية من ناحية اللغة فقط ولكنه لا يفيد أنثروبولوجياً، وأيضاً لا يمكن قول "السلالة السامية أو السلالة الحامية" بل "اللغة السامية أو اللغة الحامية".

فاللغة والثقافة ليس لهما سند أحيائي صحيح وليس من الضروري أن يكون أصحاب اللغة المشتركة منحدرين من أصل واحد، فاللغة أداة تعبير وتفاهم يمكن اكتسابها وتعلمها كمهارة سهلة الانتشار، فالشعوب المستعمرة فرضتها علي مستعمراتها، فالعثمانيين فرضوا التركية في شبه جزيرة الأناضول، والفرنسيين فرضوها في الجزائر وغير ذلك...، وقد يحدث العكس أي اكتساب المستعمرين لغة مستعمراتها كما حدث مع النورمان باكتسابهم الفرنسية أثناء احتلالهم لفرنسا والفلسطينيين اكتسابهم الكنعانية بعد غزوهم لفلسطين.

وفي بعض الأحيان تصبح اللغة حاجزاً ثقافياً كبيراً بين أفراد المجموعة الواحدة والسلالات المشتركة ففي القرن الإفريقي باعدت اللغة بين الأثيوبيين وجيرانهم الصوماليين رغم الرابطة السلالية المشتركة بينهم.

يتضح من ذلك أن محاولات تقسيم النوع البشري إلي سلالات اتسمت في بادئ الأمر بالخلط بين الصفات الجنسية للشعوب وبين الحضارة واللغة وذلك لعدم القدرة علي التمييز بينهم، فكلمة سلالة استخدمت في معانٍ كثيرة غير أنه يقصد بها مجموعة من الناس ذات

صفات جنسية متشابهة، غير أن هذه الصفات اختلف بشأنها العلماء والباحثون.

والمعروف أنه لا يوجد حالياً سلالة نقية بالرغم من أن هناك بعض الشعوب كالإندمان والبشمن والفدا حيث أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الشعوب والسلالات، ويجب التفريق بين مفهومي "الشعب" و"السلالة" فالشعب مجموعة من السكان تسكن دولة واحدة قد تضم عدة سلالات أو أجناس والنموذج الواضح في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي تحتوي بين حدودها (القوقاز ـ الزنوج ـ المغول ـ مجموعات قديمة ...) وأيضاً هناك الهند وفرنسا والمملكة المتحدة

أما السلالة فتختلف عن ذلك اختلافاً كبيراً إذ تحمل بين طياتها تاريخاً جنسياً طويلاً يصعب تحديد درجة نقاوته، فالتقسيم السلالي يعتمد علي أسس متباينة وقواعد تبتعد كثيراً عن التصنيفات الحضارية والثقافية والسياسية، فمن الناحية البيولوجية والأنثربولوجية هناك اتفاق علي أن جميع أصناف البشر يستطيعون التزاوج وإنتاج النسل بغض النظر عن الاختلافات البيولوجية بينهم وكذلك البيئة الجغرافية التي تؤدي إلي ظهور اختلافات سلالية والتي بواسطتها يمكن للأنثروبولجيين تقسيم البشر إلي سلالات وأنواع فرعية.

البيئة الجغرافية والتنوع السلالي:

تؤثر البيئة الجغرافية علي التطور السلالي وذلك عن طريق عامل العزلة التي تنشأ عن وجود الحواجز الجغرافية كالسلاسل الجبلية والصحراء والمحيطات، بالإضافة إلي المناخ والغذاء.

العوامل الجغرافية المؤثرة في التنوع السلالي:

الحواجز الجغرافية:

نشأت عدة سلالات ثانوية أو فرعية نتيجة تفرق لمجموعات بشرية وانعزالها عن بعض بسبب العوائق الجغرافية، وقد كانت الحواجز الجغرافية أهم العوامل التي تمنع الاختلاط وتشجع الاختلافات العشوائية، فمثلاً فصلت الصحراء الكبرى في أفريقيا بين سكان البحر المتوسط (القوقاز) والمجموعة الزنجية في أفريقيا المدارية، كما أن جبال الهملايا فصلت بين مغول الهضاب العليا بوسط آسيا وسكان الهنود القوقازيين.

فالحواجز الجغرافية كانت عاملاً قوياً ومؤثراً وقف أمام تحركات البشر وإن كانت مقدرة الإنسان علي الملائمة والتكيف مكنته من أن يعيش في ظروف جغرافية وبيئات متباينة ومتنوعة، **وتؤثر الحواجز الجغرافية علي التنوع السلالي في:**

- منع وحدات وراثية جديدة من الظهور كانت ستبدو لو هناك اختلاط سكاني.
- خمول أو ركود عملية ضغط الاختيار بسبب قلة المنافسة في بيئة محدودة.
- ظهور الاختلافات العشوائية بسبب العزلة.

ويبدو أثر العزلة كبيراً علي الجماعات الصغيرة فالمجموعة المغولية ظهرت في بيئة منعزلة محاطة بالجليد خلال الفترة الجليدية الأخيرة وتمثل هذه المجموعة نموذجاً للاختيار الطبيعي الديناميكي الذي يتضمن تكوين مجموعة جنسية بيئية Genotype تتلائم مع ظهور قهرية لتغير البيئة، أما الاختيار الطبيعي المستقر هو الذي تستطيع عناصره الممتازة أن تقاوم تغيرات البيئة الفصلية كالتغير الحراري وحدوث المجاعات الطارئة أو الأوبئة...

المناخ:

تشجع العوامل المناخية في بعض الأحيان أثناء عملية الاختيار الطبيعي علي ظهور بعض الصفات السلالية واختفاء أخري، ففي المناطق الباردة تتطلب الملائمة للعيش فيها الإقلال من فقدان الحرارة بينما في المناطق الحارة تفضل الظروف المهيأة لترطيب الجسم.

ويبدو أثر المناخ علي لون البشرة، ففي الصحراء المدارية حيث يسود الجو الجاف تكون البشرة بنية وليست سوداء بسبب عدم وجود الرطوبة، ويرجع لون البشرة الفاتحة لسكان الصحراء إلي أنهم لم يمض عليهم الوقت الكافي لاكتساب لون البشرة الداكنة كالطوارق الذين وصلوا إلي الصحراء الكبرى منذ ما يقرب من ١٥٠٠ سنة.

واقترن اللون الأسود بالمناطق الحارة الرطبة بسبب كثافة عدد الحبيبات الملونة في الجسم، فاقتران لون البشرة السوداء بهذه المناطق، ويعتبر لون البشرة هنا كعامل حماية لهم ضد أشعة الشمس القوية.

وأيضاً يرتبط المناخ بحجم الجسم في البيئة الجغرافية، ففي المناطق الحارة يعيش نحاف الجسم (النوير ـ الدكنا ـ التوتسي)، أما الجماعات التي تعيش بالقرب من الدائرة القطبية ممتلئو الأجسام وينطبق ذلك علي زوائد الجسم (الأطراف ـ الأذن ـ الأنف)، تكون قصيرة في المناطق الباردة، فالإسكيمو يمتازون بالسيقان القصيرة وأيضاً الأصابع والأنوف، بينما سكان الصحراء علي النقيض يمتازون بالسيقان الطويلة والأنوف البارزة.

الغذاء والأمراض:

يؤثر الغذاء علي تكوين الجسم وبنائه فمن الملاحظ أن آكلي اللحوم يمتازون بالأجسام الضخمة وخير مثال لذلك صيادي الماموث في العصر الحجري القديم، وهنود سهول أمريكا حيث كان اعتمادهم علي

حيوان البيسون، وعلي النقيض من ذلك سكان جنوب شرق آسيا الذين يتصفون بالأجسام الصغيرة حيث يمثل الأرز غذائهم الرئيسي، ويلاحظ أن الأوروبي إذا ما اعتمد علي الأرز فإنه يصاب بمرض البري ـ بري وبعض أمراض فقر الدم الأخري.

وفي جزر بولينزيا وميكرونيزيا يعتمدون علي البطاطس واليام والسمك وجوز الهند وهم قريبو الشكل بالأوربيين والأمريكيين وسكان غرب أوروبا من حيث بناء الجسم وطول القامة وبالرغم من أن غذائهم خال من اللحوم إلا أن عناصر غذائهم من أطعمة البحر تحتوي علي عناصر بروتينية وفيتامينات.

أما غذاء سكان الصحراء يتركز في كميات بسيطة من الأطعمة إلا أنها مليئة بالبروتينات والدهنيات والسكريات إذ يشتمل علي اللبن والتمر وبعض الحبوب.

وقد لعب المرض دوراً مهماً في عملية الاختيار الطبيعي في تاريخ البشرية، ففي مرحلة جمع الطعام والتي استغرقت أكثر من ٩٩% من تاريخ الإنسانية حيث كانت أعداد السكان قليلة، كما كانوا يعيشون متناثرين الأمر الذي ساعد علي العزلة، ولكن مع حياة الاستقرار وظهور المحلات العمرانية والحضرية وقبل التقدم الصحي والطبي عصفت الأوبئة والمجاعات بالسكان فعلي سبيل المثال قضي الطاعون الأسود علي ربع سكان أوروبا خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وكان من الطبيعي أن يؤدي مثل ذلك الوباء إلي تغير في تكوين الوحدات الوراثية لدي السكان.

أسس تصنيف السلالات:

يعد "بليمنباخ Blemnbach" (١٧٧٥م) أول من نادي بأنه لابد أن يؤخذ في الاعتبار عند تعريف السلالة كل الصفات الموجودة، كما استطاع التعرف علي التفاوت والتدرج في الصفات بين المجموعات

المختلفة وقد اعتمد علي تقسيم لون البشرة وشكل الشعر ولونه، وطول القامة والمقاييس المختلفة لجميع أجزاء الجسم وتبعاً للون البشرة.

وفي خلال القرن الثامن عشر أمكن الحصول علي معلومات وفيرة خاصة بقياس أعضاء الجسم لدي المجموعات البشرية سواء كانت هذه المقاييس تختص بالأحياء والهياكل، وتبع ذلك تبويب وتصنيف هذه المعلومات إحصائياً واستند عليها في معرفة الاختلافات السلالية بين المجموعات البشرية والتي يمكن علي أساسها تمييز سلالات معينة.

وأهم الأسس التي تستخدم في تصنيف البشر إلي سلالات متنوعة هي الصفات الجنسية التي تستخدم في تعريف السلالة وتنقسم إلي ثلاثة أقسام:

أولاً :الصفات الهيكلية :

تعرف بالصفات المستترة: وتحتاج لآلات خاصة لقياسها وملاحظتها وهي: شكل وحجم الجمجمة، الوجه، الأنف، الفك، الأسنان، شكل الحواجب، عظام الوجنات، طول القامة....

ثانياً : الصفات السطحية:

تعرف بالصفات الظاهرة: وهي التي تدرك بالعين المجردة مثل لون البشرة، شكل الشعر ولونه، لون العين وثنيتها، شكل الشفاه....

ثالثاُ : فصائل الدم:

تعتبر فصائل الدم من أهم العوامل الوراثية في الإنسان ، إذ درست علي نطاق عالمي سليم والسبب في ذلك لا يرجع فقط إلي أن طريقة وراثتة سهلة وبسيطة ولكن أيضاً لأهميته في النواحي الطبيعية والعلاجية.

ومجمل هذه التصنيفات أن الجنس البشري ينقسم إلي المجموعات الرئيسية الآتية:

السلالة القوقازية (Caucasoid):

يمتاز أفرادها بأن هياكلهم العظيمة أكثر ثقلاً وسمكاً من عظام المجموعتين الأخريين ، كما أن عظام المفاصل أطول وعضلاته أكثر وضوحاً والجمجمة تمتاز بنمو الحواجب كما أن الوجه مستطيل والفك صغير والأنف طويل ومرتفع ، والذقن واضحة والأكتاف عريضة وتتركز المجموعة القوقازية في أوروبا وشمال أفريقيا وجنوب آسيا وفي الهند ومن أهم سلالتها سلالة البحر المتوسط والسلالة النوردية والسلالة الألبية والسلالة الأناضولية.

المجموعة الزنجية (Negroid):

من بين صفاتها الأنف العريض جداً والرأس الطويل والجبهة المستديرة والوجهة المتميز ببروز وضخامة الفك العلوي والجزء الأسفل للفم ، والأكتاف الضيقة والعظام الطويلة الدقيقة ذلك إلي جانب طول كل من عظام الساق واليد بالنسبة إلي عظام الفخذ والساعد وتنتشر المجموعة الزنجية أساسًا في القارة الأفريقية ومن أهم سلالتها البانتو والأقزام والنيليون والبوشمن والهوتنتوت.

المجموعة المغولية (Mongoloid):

لا توجد بها صفات مميزة لعظام الجسم غير أن الرأس هي التي تحمل بعض الصفات الخاصة. فرأس المغولي تمتاز بأنها عريضة والوجه مستدير أو مفلطح والجبهة مرتفعة والأنف عريض جداً وهي قصيرة غائرة والعين منحرفة ثقيلة الأجفان كما أن الفك يمتاز بشيء من البروز.

ويعيش أفراد هذه المجموعة في قارة آسيا والعالم الجديد ومن أهم سلالاتهم الإسكيمو والمغول الحقيقيون والأتراك واليابانيون والكوريون وسلالة التبت والهيمالايا والسلالة الأندونسية الملايووية

والهنود الأمريكيون، أما عن الاستراليون الأصليون الذي يعشون في استراليا وجماعات الأينو وهم أجداد اليابانيين الحاليين وجماعات الفدا التي تعيش في الهند والجماعات الميلانيزية والبولينزية الذين يعيشون في جزر ميكروونيزيا وبولونيزيا في المحيط الهادي فجمعيهم سلالات مركبة بمعني أنهم خليط بحيث يتعذر وضعهم تحت المجموعات الثلاث الرئيسية ومن ثم فقد يضعهم بعض الكتاب في مجموعة قائمة بذاتها تعرف باسم المجموعة الاسترالية ومن أهم صفاتها أنها أقدم المجموعات البشرية علي الإطلاق.

المراجع:

- إبراهيم رزقانة، العائلة البشرية، القاهرة، ١٩٥٠م.
- جمال حمدان، اليهود أنثربولوجيا، القاهرة، ١٩٦٧م.
- جمال حمدان، شخصية مصر، جـ ٢، القاهرة، ١٩٨١م.
- سيمونز، ج، لون البشرة وأثره في العلاقات الإنسانية، ترجمة علي عون الأنصاري، سلسلة الألف كتاب، ١٩٦٤م.
- فؤاد الصقار، التفرقة العنصرية في أفريقيا، القاهرة، ١٩٦٢م.
- محمد السيد غلاب، تطور الجنس البشري، الإسكندرية، ١٩٥٥م.
- محمد عوض محمد، سكان هذا الكوكب، القاهرة، ١٩٣٦م.
- محمد عوض محمد، السودان الشمالي، القاهرة، ١٩٥١م.
- محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الأفريقية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- يسري الجوهري، الإنسان وسلالاته، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- يسري الجوهري، أسس الجغرافيا البشرية، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- المراجع غير العربية:

- Batrawi, A., The Racial History of Egypt& Nuba, J. A. I., VOL. 75, 1945.
- Batrawi, A., The Racial Relationship of The Ancient& Modern Population of Egypt& Nuba, J., A. I., VOL. 76, 1946.
- Brook, L., The Americas, London, 1943.
- Cola, S., Races of Man, London, 1963.
- Coon, C., Races of Europe, New York, 1939.
- Deniker, J., The Races of Man, Paris, 1900.
- Haddon, A., Races of Man, Cambridge, 1927.
- Hawells, W., Mankind so far, London, 1948.
- Huzayyin, S., The Place of Egypt in Prehistory, Cairo, 1941.

- Murray, G., Sons of Ishmael …, London, 1935.
- Ripley, W., Races of Eurobe, London, 1899.
- Seligman, C., Races of Africa, London, 1939.
- Smith, E., The Ancient Egyptian …., London, 1923.

الفصل الثالث

نشأة الحضارة

(الإنسان وتعمير الأرض)

مقدمة:

استطاع الإنسان أن ينتشر ويعمر معظم سطح الأرض وبذلك تمكن من أن يدخل تعديلات هامة علي طبيعة الأماكن التي استقر فيها واتخذ منها موطناً فقد استطاع الإنسان بما لديه من موهبة التفكير وبإمكانيات حضارته المتطورة أن يدخل كثيراً من التغيرات علي الغطاء النباتي. وأن يروض الحيوانات المفترسة ويستأنسها ويجنبها لصالحه وذلك في غضون بضعة آلاف من السنين وقد كانت آثار هذا التغير أكثر وضوحاً من تلك التغييرات التي أحدثتها الطبيعة في ملايين السنين

في المدن الكبرى نشاهد قدرة الإنسان علي التغير حيث أقام ناطحات السحاب وشيد المصانع وأقام الطرقات وحفر الأنفاق لتمر من تحتها القاطرات الكهربائية ، وتحكم في مجاري الأنهار فأقام السدود والخزانات والقناطر والكباري وغيرها من التغييرات التي تشير إلي أن الإنسان لم يحدث تغيراً حضارياً كبيراً في أي بقعة من سطح الأرض مثلما فعل في المناطق التي تشغلها المدن الكبرى.

وقبل أن نتعرض لعمل الإنسان في مجال تغير المظاهر الصغري لسطح الأرض بغرض إيجاد البيئة المواتية ليعيش فيها لابد أن ننظر أولاً إلي الإنسان ذاته كيف نشأ ؟ وكيف انتشر علي سطح الأرض ؟ لابد أن نعرف كيف يعيش هذا المخلوق الاجتماعي؟ لقد حصر المهتمون بدراسة الإنسان العوامل التي تحدد صفات الإنسان وسلوكه في عنصرين أساسين وهما الوراثة (Heredity) والبيئة (Environment).

الوراثة (Heredity):

تشير الوراثة في أبسط مفاهيمها إلي العمليات البيولوجية التي تنتقل بواسطتها الصفات الجنسية من جيل لآخر. فعلي سبيل المثال إذا كان الآباء أصحاب قامة طويلة نحيفة وأنف بارز فأكثر الاحتمالات أن يحمل الأبناء نفس هذه الصفات الجنسية أو الطبيعية ومعني ذلك أن كل

فرد منا يرث إلي حد ما كل من الصفات الجسمية والعقلية لآبائه وأجداده ، وهذه الصفات هي التي نطلق عليها الصفات المورثة.

البيئة (Environment)

يكتسب الإنسان كثيراً من الأشياء من بيئته التي ينمو بها عن طرق التعليم والتقليد، إلي جانب اكتساب الإنسان لبعض صفات والديه الجنسية، فطريقة سلوك الإنسان وتفكيره ترجع في جزء منها إلي المهارات والقدرات والاتجاهات التي تعلمها.

والخلاصة أن الإنسان حيثما وجد سواء في الصحراء أو فوق الجبال، في الوادي أو السهل، في الغابة أو الواحة، في القرية أو المدينة، في الكوخ أو الخيمة، سواء كان يعتمد في طريقة حياته أو عيشه علي الجمع والالتقاط أو الزراعة، أو الصناعة والتجارة، سواء كان يركب الخيل أو الحمير، أو يحلق بطائرة في السماء أو يقود سيارة علي الأرض، سواء كان يرتدي جلباباً أو زياً أوروبياً، سواء كان يتحدث اللغة العربية أو الإنجليزية أو الإنجليزية الفرنسية أو لغة أخري فهو نتيجة للوراثة والبيئة بدرجات متفاوتة.

الإنسان والحضارة:

هل نعتقد أننا تستطيع أن نقرأ التاريخ في كتب المؤرخين فحسب؟ إذا كنا نعتقد ذلك فإننا جانبنا الصواب لأننا نستطيع أن نقرأ الكثير عن الماضي والحاضر من دراسة سطح الأرض الذي يكون المسرح الجغرافي لكثير من قصص الشعوب والسكان الذين عاشوا عليه ومثلوا أدوارهم فوق ترابه.

لكي نكون علي بينة بالعلاقات القائمة بين الإنسان والأرض وهي محور قصص الشعوب لابد أن نتفهم مضمون المفاهيم التالية :

الحضارة (Culture):

الحضارة شيء مكتسب لا يورثه الأب لإبنه أو الأم لوليدها ، فعلي الرغم من أن الفرد قد يولد ضمن مجموعة جنسية معينة (سلالة) إلا أنه يتعلم تبعاً لطرق الحضارة التي نشأ بها، وبعبارة أخري الحضارة طريقة عيش إذ تتكون من الأفكار السائدة والمهارات والمعتقدات وطرق الاتصال ذلك إلي جانب الأشياء المادية التي تتمثل في الآلات والأدوات والمباني، والعناصر الآتية تبين الأجزاء المختلفة التي تنطوي تحت مفهوم الحضارة:

١- **العناصر المادية** وتشمل الأدوات والمهارات وطريقة عيش السكان.
٢- **التنظيم الاجتماعي** (الأسرة – القبيلة – والمجتمع) والمؤسسات الاجتماعية (التعليم – الأحزاب – السياسة - الحكومة).
٣- **المعتقدات الدينية والسحرية.**
٤- **الفنون** – الموسيقي والرقص والتمثيل..... الخ.
٥- **اللغة.**

وكما يبدو بوضوح أن الأجزاء المختلفة المكونة لمفهوم الحضارة قد تفصل عن بعضها لغرض البحث فحسب إذ أن أي محاولة لتفهم طريقة حياة أي شعب لابد أن تدخل في اعتبارها تفهم العلاقة بين جملة هذه العناصر. ولتأخذ المعتقدات عيش السكان وهذا أمر يمكن ملاحظته بوضوح بين الهندوس الذين يحرمون ذبح الحيوانات ، كما لا يقبل الهندوس أيضاً علي إنتاج الحرير رغم مساعدة الظروف الجغرافية علي هذا الإنتاج والسبب في ذلك اعتقادهم بتحريم قتل دودة الحرير قبل أن يستخرجوا الخيوط من الشرنقة.

وتمثل اللغة جانباً مهمًا في الحضارة إذ أنها أداة التعبير للأفكار والآراء ومن ثم فلغة الشعب قد تحدد بدرجة واضحة طريقة تفكيرهم في الأشياء وترجمة الأفكار من لغة إلي أخري تقتضي مقدرة علمية كبيرة

لأنها تتطلب من المترجم ألا يعرف معني الكلمات المقابلة فحسب بل تتطلب أيضاً تفهم الروح والأفكار المصاحبة لهذه اللغة.

ونهتم أيضاً بدراسة الجانب المادي للحضارة ومعرفة هل يعمل السكان من أجل سد مطالبهم؟ أو أنهم ينتجون البضائع ويتبادلونها من أجل الحصول علي سلع وبضائع غير متوفرة في بيئتهم ومن ثم يدخل تحت الجانب المادي للحضارة أيضاً طرق المواصلات ووسائلها.

تطور الحضارة:

حينما ندرس التاريخ نقرأ عن كيفية تغير السكان لطرق معيشتهم وعن الأحداث التاريخية الكبرى والشخصيات التاريخية التي كان لها دوراً كبيراً في تغير مجري الأحداث. ولكن إذا ما فحصت بدقة قصة الإنسان علي سطح الأرض ستجد أن هناك فترات زمنية طويلة قد مرت علي تاريخ الإنسانية لم يحدث فيها أي تغير يذكر في طريقة حياة الإنسان حقيقة يوجد في كل جيل قليل من الأفراد الذين يتقدموا بأفكار جديدة وطرقاً مبتكرة لعمل الأشياء ولكن إلي جانب هؤلاء يوجد الكثيرون الذين يؤيدون القديم، ويعارضون التجديد.

التغير الذي حدث في تاريخ الإنسانية تم في فترات قصيرة لأسباب طارئة وبدون مقدمات ولذا فتمسي الفترات التي شاهدت وعاصرت هذا التغير باسم الثورات (Revolutions) وإذا ما طبقنا مفهوم الثورة السابقة علي الحضارة نجد أن **تاريخ الإنسانية شهد أربع ثورات كبري وهي:**

الثورة الأولي:

حدثت منذ فترة طويلة من الزمن لا نعرف علي وجه الدقة تاريخاً محدداً لها وذلك لارتباط هذا التاريخ بمشكلة تحديد بداية تاريخ استخدام الإنسان للحجارة في صنع أدواته ، ولكن من المؤكد أن الإنسان استطاع

في ظل هذه الثورة أن يستخدم الأدوات الحجرية في طريق معيشته حيث عاش في العصور الحجرية القديمة ، ولكي ندرك أهمية هذه العصور بالنسبة لتاريخ الإنسانية يجدر بنا أن نذكر أن العصر الحجري القديم استغرق فترة طويلة من الزمن تقدر بحوالي أربعة أخماس تاريخ البشرية وأن الإنسان في خلال هذه الفترة الزمنية كان ينمي قدرته اليدوية كصانع للآلات ويطور حياته الاجتماعية والعاطفية كإنسان

وإذا كانت الثورة الأولي في التاريخ الحضاري للإنسان تميزت باستخدام الأدوات الحجرية فإنها برزت أيضاً **بمعرفة النار** ، وهذه السيطرة نقلته من المرحلة الأولية التي كان ينتمي إليها. حيث تمكن الإنسان بواسطة النار من أن يسيطر علي البيئة ويحمي نفسه من الحيوانات المفترسة التي تخشي النار. واستخدام النار كان ضرورة اقتضتها الظروف المناخية لسكني الكهوف إذ كانت وسيلة لتدفئة الكهف وفي نفس الوقت لإضاءته. وبواسطة النار استطاع الإنسان أن ينتشر في رقعة أكبر من الأرض لأنها مكنته من أن يتحمل البرد في الليالي شديدة البرودة وأن يتوغل في الأقاليم المعتدلة الباردة والأقاليم الباردة.

إضافة إلي ذلك استعمل النار في إنضاج طعامه وبذلك أمكنه أن يضيف أنواعاً جديدة من الأطعمة والتي كان يصعب عليه مضغها قبل معرفة النار. إذ أن طهو الطعام جعله مادة سهلة الهضم والتناول ومن ثم كان لهذا التحول أثره علي عضلات الجسم ونظام الهضم وقيمة المادة الغذائية. ولهذا فإننا نعتبر معرفة النار من أهم الأحداث التي مر بها الإنسان في تطوره.

ولقد أدي التطور العقلي أو الفكري للإنسان في هذه الفترة إلي ظهور اللغة والفن والدين. واللغة كانت أداة مهمة لنقل التراث الحضاري ودلالتها الإنسانية لا تقل بأي حال من الأحوال عن قدرة الإنسان لصنع

أدواته. فلولاها لأصبح التقدم الحضاري يعتمد كلية علي طريقة الممارسة والخبرة والتمرين.

الثورة الثانية:

حدثت هذه الثورة قبل أن يتمكن الإنسان من تسجيل أحداثه وشهدت معرفة الإنسان للزراعة واستئناس الحيوان وبظهور الزراعة واستئناس الحيوان أصبح الإنسان لأول مرة منتجاً للقوت بعد أن كان مجرد مستهلكاً له ، وتعتبر هذه الخطوة ثورة مهمة في تاريخ البشرية.

وتعتبر هذه الثورة هي "الثورة الإنتاجية الأولي" في تاريخ البشرية إذ أنها تبين مرحلة اقتصادية هامة بين نهاية حياة الصيد وبداية اقتصاد المعدن. وهذه المرحلة تتفق في توقيتها الزمني مع العصر الحجري الحديث الذي استغرق فترة زمنية طويلة منذ بدأ في موطنه الأول وهو منطقة الشرق الأوسط أي منذ ما يقرب من تسعة أو ثمانية آلاف سنة مضت واستغرق بعد ذلك فترة تتراوح ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف للوصول إلي غرب أوروبا من ناحية وإلي الصين من ناحية أخري.

وهذه الثورة الإنتاجية لم تحدث في وقت واحد في كل أجزاء العالم غير أن فكرة بذر الحب ورعي الحيوان كان من السهل تقبلها عن طريق الانتشار الحضاري (Cultural Diffusion) بل أن تقبلها كان أسرع من تقبل التغييرات الطارئة في صناعات الآلات مثلاً. فتربة الأرض والمناخ المناسب دفعت شعوباً مختلفة ذات عادات متباينة إلي أن تقبل ثورة إنتاج الطعام ومن ثم لاءمت بالتدريج حضاراتها لهذه الثورة.

وقد تعرض كثير من الباحثين لتفسير كيفية حدوث هذه الثورة ودواعي قيامها ومهبط ميلادها فاعتقد البعض أن الزراعة لم تنشأ نتيجة للحاجة للطعام وأن اختيار نوع النبات وأحاطته بالرعاية أمر يتطلب أن تقوم به جماعات تعيش فوق مستوي الجماعة وأن المسئول عن هذه الثورة

هم صيادو البحر الذين تمركزوا حول البحيرات والمجاري المائية أثناء العصر المتوسط إذ أن صيد الأسماك كان يمثل مورداً غذائياً ثانياً علي مدار السنة ، وأن المنطقة الملائمة لتكون مهداً للزراعة هي جنوب شرق آسيا.

أما البعض الآخر فرأي أن الزراعة كانت ضرورة اقتضتها تغير الظروف المناخية في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا بعد انتهاء العصر المطير في الزمن الرابع إذ ترتب علي قلة المطر وندوته أن نقص الغطاء النباتي والمروج الخضراء التي كانت سائدة في تلك المناطق التي تحولت تدريجياً إلي مناطق صحراوية. ومن ثم كان علي الإنسان والحيوان في هذه الجهات أن يتجه إلي أماكن تجمع الماء حول العيون والآبار في بطون الأودية. أي أن الزراعة كانت ممكنة فقط في تلك الواحات المتناثرة في الصحراء أو في مجاري الأنهار القليلة كنهر النيل الأدني ونهري دجلة والفرات.

علي أي حال مهما كان الاختلاف حول الظروف التي أحاطت بقيام الثورة الإنتاجية فإنه من الثابت أن الدعامة الأساسية لهذه الثورة كان معرفة الزراعة وممارستها ، واستئناس الحيوان واستغلاله ، والارتباط بالأرض والانتفاع بمواردها وبناء المساكن ، والإحساس بالجيرة والشعور بالمشاركة ، فالزراعة ربطت الإنسان بالتربة ومن ثم كانت المحافظة علي النبات والأرض هو الشيء الذي لابد أن يضمن في المكان الأول.

وقد كانت المرأة تبعاً لدورها القديم كجامعة للطعام هي المسئولة علي اختراع وتطور الزراعة، وأن المرأة ظلت هي الفاتحة للأرض لمدة طويلة وربما كانت هي أيضاً المخترعة لصناعة الأواني الفخارية وصناعة النسيج حيث بقيت هذه الحرف في يدها طوال " الثورة الإنتاجية الأولي "أما الرجال فكانت حرفتهم الرئيسية تربية الحيوانات وصناعة الفؤوس الحجرية والعصي المعقوفة وغيرها من الأدوات الثقيلة

التي استخدمت في الحقول ذلك بالإضافة إلي حرفة قطع الأخشاب والتجارة إذا ما وجدت.

المهم في هذه الثورة أن الإنسان استقر في قري، وارتبط بالأرض التي يزرعها وبدأ ينتج وافر من المحاصيل الذي ساعد علي زيادة أعداده.

الثورة الثالثة:

يمكن أن نُطلق عليها "الثورة الإدارية" والتي تتمثل في تطور النظام الحكومي والإداري الذي يدعمه وجود قانون. وقد حدثت هذه الثورة منذ ثلاثة أو أربعة آلاف سنة ق. م فعلي الرغم من أن الإنسان الأول ربما كان لديه نوعاً من النظام القبلي أو بعض القواد ذي الكلمة المسموعة إلا أن الحضارات الأولي التي نجحت في إقامة نظام حكومي تسيطر به علي مساحة كبيرة من الأرض وجدت في وادي النيل وعلي ضفاف نهري دجلة والفرات وفي الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

وقد اعتمدت الحضارة المصرية علي فيضان النيل إذ أن السيطرة علي النهر اقتضت وجود سلطة تشرف عليه لتقوم بمهمة بناء الكباري وشق القنوات وتوزيع المياه وهكذا وبالتدريج تطورت مهمة الحكومة وسنت القوانين وبالتالي أضافت إلي اختصاصها جمع الضرائب وحفظ الأمن وقد أدي سيادة القانون إلي اطمئنان الفلاح ووجود فائض من الطعام يستطيع بيعه الأمر الذي أدي في النهاية إلي أن يتفرع قطاع من المجتمع لممارسة التجارة وامتهان الفكر والإبداع وكان ذلك بداية لقيام الحياة الحضرية أي نشأة المدن.

الثورة الرابعة:

شهدها القرن الثامن عشر إذ أن اختراع الآلة البخارية في عام ١٧٦٨م كان بداية لسلسلة من التغيرات التي عرفتها البشرية باسم الثورة الصناعية (Industrial Revolution) فلأول مرة في التاريخ تمكن

الإنسان من استخدام الآلة البخارية في المصانع ، كما عبرت أول سفينة بخارية المحيط الأطلسي في عام ١٨١٩م وسير أول قطار بخاري في عام ١٨٢٥م.

وفي بادئ الأمر كان التغير يسير ببطء ولكن في أواخر القرن التاسع عشر ظهر أول قطار كهربائي ثم شهد القرن العشرين ظهور السيارات والطائرات والسفن الآلية وقد زاد تقدم وسائل المواصلات في النصف الثاني من القرن العشرين زيادة هائلة بحيث أمكن استخدام الطاقة الذرية كما نعلم في الوقت الحاضر في بعض الأغراض الصناعية

ومصادر القوي الجديدة لم تعمل علي زيادة سرعة نقل البضائع والسكان فحسب من مكان لآخر بل ساعدت أيضاً علي زيادة كمية البضائع المنقولة فبدون الزيادة الهائلة في وسائل نقل البضائع لم يكن ميسوراً للمدن الكبيرة الموجودة في العالم الآن أنه انتشر ونما وتبدو بالصورة التي نشاهدها بها في وقتنا الحاضر.

الحضارة والبيئة: (Environment):

حضارة الإنسان جزء من البيئة (Environment) التي يولد فيها الفرد ، وبعبارة أخري فهي الجزء البيئي الذي صنعه الإنسان. أما الجانب الآخر من البيئة وهو جانب البيئة الطبيعية فيعرف باسم الموطن (Habitat) ومعني ذلك أن البيئة تشمل كل من الموطن أو المكان الذي يعيش فيه الفرد والحضارة أي أننا نستطيع أن نفهم بوضوح استغلال الإنسان للأرض إذا ما كان التميز بين الموطن والحضارة واضح في الأذهان وذلك علي الرغم من صعوبة التميز في بعض الحالات فعلي سبيل المثال حينما تتغير التربة من حالتها الطبيعية عن طريق الحرث والتسميد فهل تصبح في هذه الحالة ضمن الموطن أو الحضارة.

ومع تغير حضارة الإنسان تتغير أيضاً صورة الموطن وخير مثال علي ذلك تاريخ النقل في الولايات المتحدة. فقبل وصول الرجل الأبيض

إلي هذه المناطق استطاع هنود أمريكا أن يهتدوا عن طريق الخبرات التي اكتسبوها في الصيد وسط الغابات إلي أسهل الطرق التي تعبر المناطق التلالية كذلك إلي أسهل الممرات وأقصر الطرق وأقلها انحداراً كما تجنبوا المستنقعات في بطون الأودية.

وحينما وفد الأوروبيون إلي العالم الجديد واحضروا معهم العربات التي تجرها الخيول وجدوا أن الهنود قد سبقوهم في اكتشاف أسهل الطرق الطبيعية للسفر لأن نفس المظاهر السطحية التي تجنبها الرجل المرتحل في سفره تمثل أهمية بالنسبة لاستخدام الحصان والعربة في السفر ولذا فأول طريق إقامة الأوروبيون لعبور الولايات المتحدة كان إلي جانب الطرق التي سلكها الهنود.وأيضاً حينما شيدت طرق السيارات تبعث نفس الطرق التي أقامها الهنود من قبل.

وقبل منتصف القرن ١٩م ظهرت وسيلة جديدة للمواصلات بعد اختراعات القطارات البخارية التي لم يكن ميسوراً لها أن تتبع الطرق التي سلكها الهنود لأن قوة الآلة قادرة علي تسلق المنحدرات والإنشاءات الحادة. ومن جهة أخري لم يكن من الصعب بناء سكك حديدية تعبر المناطق المستنقعية أو بناء الكباري والأنفاق لتمر فوق الأنهار والمستنقعات وتعبر الجبال وكان نتيجة لذلك أن تبعت السكك الحديدية طرقاً مختلفة عن الطرق التي تسلكها السيارات ونظراً لأن مدناً عديدة أقيمت علي طول خطوط السفر القديمة ولم تتمكن خطوط السكك الحديدية من الوصول إليها فقد أقيمت مدناً جديدة عند التقاء طرق السكك الحديدية ، وتبع كل ذلك أن تغيرت معالم السطح الحضارية إلي مظهر جديد مع تطور وسائل النقل.

الخلاصة أن الحضارة شئ مكتسب لا يورث ، وأن الإنسان يتعلم تبعاً لطرق الحضارة التي ينشأ فيها، وان التغير الذي حدث في تاريخ الإنسانية تم في فترات قصيرة لأسباب طارئة وبدون مقدمات ولذا تسمي الفترات

التي عاصرت هذا التغير باسم الثورات. وقد كانت الثورة الإنتاجية الأولي نقطة تحول في تاريخ الإنسان لأنها جعلته لأول مرة منتجاً للقوت بعد أن كان مجرد مستهلكاً له. وقد تبعت هذه الثورة ثورات أخري غيرت من اقتصاديات الشعوب وطرق عيشها ومن ثم فالفرق بين الحضارات البسيطة والمعقدة أصبح يرتكز علي تعدد طريق العيش وتنوعها وعلي الحفاظ علي الموارد الطبيعية والتي يعتبر حسن استغلالها أمر ضروري لبقاء الحضارة وازدهارها.

الفصل الرابع

البشر بين النمو والتركيب والتوزيع

(جغرافية السكان)

مقدمة:

جغرافية السكان إحدي أهم فروع الجغرافيا البشرية، التي تدرس العلاقات المتعددة القائمة بين الإنسان وبيئته، والسكان هم المحور الرئيسي، الذي تدور حوله، ومنخلاله، كثير من العلوم في شتي المجالات سواء كانت علوماً إنسانية أو تطبيقية.

توجد تعريفات عديدة لمفهوم ومجال جغرافية السكان وتختلف باختلاف المدارس والزمان والمكان ولكن جميعها تتفق بأنها دراسة الغطاء البشري لسطح الأرض والتأثير المتبادل بين الإنسان والبيئة الطبيعية فالجغرافي الأمريكي **تريوارثا**(Trewartha) يري بأن مضمون جغرافية السكان تركز علي فهم التباينات الإقليمية في الغطاء السكاني للأرض والعوامل المؤثرة في هذا الغطاء.

الجغرافية الفرنسية **بيجو جارنييه**(Beaujeu Garnier J.) تري بأن جغرافية السكان هي دراسة الحقائق والخصائص الديموغرافية في بيئتها وهي بهذا لا تختلف عن زميلها الجغرافي الفرنسي (GeorgeP.) المختص في الدراسات السكانية الذي يركز علي أحداث الإنسان في البيئة ليؤكد قدرة الإنسان علي التأثير في الوسط الطبيعي والتغلب عليه لتلبية احتياجاته ورغباته.

يعرف **محمد السيد غلاب** جغرافية السكان بأنها دراسة الكتل البشرية وتوزعها علي سطح الأرض وتطور هذا التوزيع حسب الأقاليم من حيث العدد والتركيب والحركة والنمو وعلاقتها بالبيئة الطبيعية والبشرية والاجتماعية.

أما **فتحي أبو عيانة** يقول بأن جغرافية السكان هي ذلك الفرع من الجغرافيا البشرية الذي يعالج الاختلافات المكانية للخصائص الديموغرافية للمجتمعات السكانية والنتائج الاقتصادية الاجتماعية الناجمة عن التفاعل المرتبط بينها وبين الظروف الجغرافية القائمة في وحدة

مساحية معينة ومن فحص مختلف مفاهيم ومجال جغرافية السكان يتضح أن جغرافية السكان تهتم بتوزيع وتطور توزيع السكان عبر المجال والزمان لتحديد كثافة الثقل السكاني حسب الأمكنة ومعرفة مدي التناسب بين السكان والأرض للوقوف علي ضوابط توزيع السكان وتحركاتهم الطبيعية والميكانيكية التي تعمل علي تغير السكان وتخلق نمط معين من التركيب النوعي والعمري كما تهتم جغرافية السكان بالتركيب الاقتصادي والاجتماعي وعلاقتهما بحركة ونمو السكان.

يستخدم مفهوم السكان بمعني أكثر شمولاً واتساعاً لأنهم لم يقصروه علي جوانب محددة من السكان وبخاصة الخصوبة العالية ومعدلات النمو وإنما أضافوا له جوانب أخري كثيرة مثل الوفيات والاختلاف في معدلاتها والصحة ومعدل الإصابة بالمرض وأيضا جوانب تكوين السكان بما في ذلك التكوين العمري ودرجة التجانس أو عدم التجانس في السكان من أنواع العرق والجنس والثقافة والدين وأيضاً جوانب توزيع السكان الإقليمي والحضري والريفي والعواصم وغير العواصم ويدخل ضمن توزيع السكان عمليات الهجرة الدولية والداخلية بما في ذلك خصائص المهاجرين وأيضاً الموروثات الاجتماعية والتكوينية.

يعد علم السكان Demography واحداً من العلوم الاجتماعية التي تُعني بقضايا المجتمع الإنساني ومشكلاته وتغيراته، ويختص بمسائل السكان وعوامل نموهم وتوازنهم النوعي والكمي، وتتأثر مفاهيمه وتعاريفه بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تشهدها المجتمعات الإنسانية المعاصرة، كما تختلف النظرة إليه وإلي الدراسات المنبثقة عنه باختلاف الفلسفات الاجتماعية والسياسية، إضافة إلي أن مسارات علم السكان تأثرت أيضاً بتطور المعارف العلمية في المجالات المختلفة، وقد أطلق الباحثون الأوائل علي علمهم صفات عدة.

وليس من السهل معرفة الظاهرة الديموغرافية بكامل الدقة وبكيفية مستمرة ذلك أنها تهم عدداً كبيراً من البشر كما أنها تتميز بكونها متغيرة في الزمان والمكان فللإحاطة بهذه الظاهرة يحتاج الي تحضير مادي واستعداد بشري ودراسات متعددة و متواصلة و ظروف سياسية ملائمة من هنا يأخذ وصف الظاهرة الديموغرافية أهميته الكبرى لان هذا الوصف يهتم بدراسة أحوال المجتمعات البشرية في وقت معين من خلال الطرق و الوسائل المباشرة التي تمكن من استخراج المعلومات الديموغرافية ومع ذلك فاستعمالها مازال يطرح بعض المشاكل للدول النامية.

وتتناول الدراسات الجغرافية للسكان عبر ثلاثة محاور رئيسة، هي: (١) نمو السكان (٢) توزيع السكان(٣) تركيب السكان (العمري، والنوعي، والاقتصادي، والديني، والتعليمي.....)، والأساس في هذه الدراسة هو العلاقات المكانية التي تميز جغرافية السكان عن الديموجرافيا.

الديموجرافيا Demography[1].

يتناول هذا العلم السكان رقمياً بوصفه موضوعاً مستقلاً عن البيئة.كما يهتم بالتأريخ الكمي للسكان من مختلف النواحي، سواء الطبيعية منها أم المجتمعية، وهذا يعني أن من مهام الديموغرافية دراسة السكان من حيث الحجم والنمو والتطور، ومن حيث بنية السكان الطبيعية والمكانية والاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك دراسة توزع السكان الجغرافي وتركيبهم العمري والجنسي أو النوعي، كما يتضمن ، أيضاً، تتبع هذا العلم لواقعات المواليد والوفيات والهجرة والزواج، ودراسة أنشطة السكان الاقتصادية المختلفة.

[1] الديموغرافيا Demography: لفظ يوناني الأصل مؤلف من شقين هما: Demos ويعني الشعب أو السكان، وgraphs ويعني الوصف، وبهذا يصبح المعنى الحرفي الكلي لهذا المصطلح وصف السكان أو الدراسة الوصفية لهم. ويُعتقد أن آشيل جيلارد A.Guillard هو أول من استعمل هذا اللفظ وذلك في عام ١٨٥٥ في كتابه «مبادئ الإحصاء البشري»، وقد عرّفها جيّار بأنها التاريخ الطبيعي والاجتماعي للجنس البشري، فهي دراسة عددية للسكان وتحركاتهم العامة وظروفهم الطبيعية وأحوالهم المدنية وصفاتهم العقلية والأخلاقية.

كما يؤكد تعريف جيلارد للديموغرافية ارتباط الدراسات السكانية الكيفية (أو النوعية) بالدراسات الإحصائية (الكمية) أو الرقمية، فالديموغرافية، وفق هذا التصور، هي دراسة سكانية تعتمد بالدرجة الأولي علي البيانات الكمية في وصف الواقع السكاني وتحليله وتفسيره.

وارتباط علم السكان (أو الديموغرافيا) بالرقم الإحصائي وبعلم الإحصاء بصورة عامة، مسألة أكدها معظم المهتمين بعلم السكان، لهذا فإنه ليس من المستغرب أن يدخل هذا التأكيد علي الربط ما بين علم السكان وعلم الإحصاء في تعريف الديموغرافية، وهذا ما ذهب إليه اميل لوفاسور E.Levasseur في تعريفه لهذا المفهوم: أنها علم يعتمد علي الإحصاء فيبحث في الحياة البشرية، ولاسيما الولادة والزواج والموت، والعلائق الناشئة من هذه الظواهر، وأحوال السكان العامة الناجمة عن ذلك، وهو يبرز العناصر الصميمة التي يتألف السكان منها وكيف تستقر المجتمعات البشرية وتستمر وتتكاثر أو تتناقص وكيف يتجمع البشر أو يتفرقون، وما أسباب هذا التغير المادي والمعنوي.

ويعرف القاموس الديموغرافي لهيئة الأمم المتحدة الديموغرافية بأنها: «دراسة علمية للجنس البشري من حيث حجمه وتركيبه وما يحدث فيهما من تطور». وواضح أن هذا التعريف علي الرغم من شموله لأهم مجالات الدراسة السكانية، فإنه يميل إلي وجهة النظر التي تري في الديموغرافية مجرد وصف للعمليات والظواهر السكانية المباشرة، في حين تهتم بالكشف والتفسير (أو التحليل) والتنبؤ أو التحكم بالظواهر والعمليات السكانية.

العلاقة بين جغرافية السكان والديموجرافيا

يوجد بعض الاختلافات بين العلمين (جغرافية السكان وعلم الديموجرافيا) إلا أن موضوع دراستهم واحد وهو(السكان) ففي الوقت الذي يهتم فيه الديموغرافي بالأرقام معتمداً علي الطرق الرياضية

والإحصائية فإن الباحث الجغرافي يربط هذه الأرقام بالبيئة الجغرافية معتمداً في تحليله علي خرائط التوزيعات.

هناك علاقة تكاملية بين العلمين ؛ حيث يتناول كل منهما الظاهرة السكانية ،فالديموغرافيا تهتم بالجانب الرقمي والجغرافيا تهتم بالجانب التحليلي بهدف تحديد الإطار المكاني الصحيح وتوضيح مختلف العوامل التي تحكم علاقات السكان داخل هذا الإطار.

من ملامح الارتباط بين الجغرافيا والديموغرافيا دراسة التطور السكاني والعوامل الرئيسية التي أسهمت فيه ثم تحديد مراحل هذا النمو و ارتباطها بالظروف الجغرافية السائدة التي تؤثر في توزيع السكان تركزاً وتشتتاً وتعد دراسة الهجرة السكانية من أبرز ملامح الارتباط بين العلمين؛ ذلك لأن الهجرة ظاهرة ديموغرافية تتحكم فيها مجموعة من العوامل التي تتطلب في تحليلها أساسا إحصائياً وفي تعليلها أساساً جغرافياً تفسر من خلاله أسباب الوفود ودوافع النزوح.

ومن مظاهر العلاقة والارتباط بينها كذلك دراسة مستقبل السكان وتخطيط مواردهم ، ويعد الجغرافي من أقدر الباحثين في مجال التخطيط معتمداً في ذلك علي دراسة الظروف التي تؤدي الي توافر عوامل الجذب والطرد في حركة السكان لشدة العلاقة ومتانتها بين العلمين أطلق بعض الباحثين علي جغرافية السكان(الجغرافية الديموغرافية).

والإحصاءات السكانية هي عبارة عن أرقام وبيانات تستعمل لتحليل الظاهرة الديموغرافية زمنياً و مكانياً واعتماداً علي هذه البيانات يمكن للدارس البحث عن الأسباب والعوامل المتحكمة في تطور السكان وديناميكيته.

مكونات النمو السكاني.

تعد ظاهرتي المواليد والوفيات هما العاملين الرئيسيين في التحكم في النمو السكاني:

أولاً : المواليد

سوف تدرس من خلال مجموعة من المقاييس كالتالي:

١- نسبة المواليد:

تعبر عن العلاقة بين عدد المواليد وعدد السكان خلال السنة وبعبارة أخري فهذه النسبة تعبر بكيفية رقمية عن عدد المواليد لكل ألف من السكان. وانطلاقاً من هذه النسبة يمكن التوصل إلي عدد الأطفال الذين تنجبهم المرأة التي في سن الإنجاب.

العوامل المؤثرة في نسبة المواليد

تتأثر نسبة المواليد بعدة عوامل أهمها: الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والدينية.

عوامل ارتفاع نسبة المواليد في الدول النامية

- ارتفاع نسبة عدد الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠و٤٠ سنة
- عدم الأخذ بسياسة تحديد النسل.
- قلة العزوبة والزواج المبكر بالنسبة للمرأة
- التقدم الطبي الذي ساعد علي مقاومة الأمراض المؤدية إلي ضعف الخصوبة.
- تأثير الديانات أو التقاليد التي تشجع علي التناسل.

عوامل انخفاض نسبة المواليد في الدول المتقدمة:

تنخفض نسب المواليد في الدول المتقدمة كما في فرنسا وألمانيا ويرجع ذلك إلي:

- نهج سياسة تحديد النسل.
- ارتفاع قيمة الطفل.
- ارتفاع نسب كبار السن علي حساب الشباب
- ارتفاع تكاليف الحياة مما أدي إلي ضرورة التخفيض من عدد المواليد.

٢- نسبة الخصوبة العامة :

تعبر هذه النسبة عن العلاقة بين عدد المواليد الأحياء و عدد النساء في سن الإنجاب وفترة الإنجاب الممتدة من ١٢ سنة إلي ٥٠سنة أي علي امتداد ٣٨ سنة ونتوصل إليها بالمعادلة التالية:

$$\text{نسبة الخصوبة العامة} = \frac{\text{عدد المواليد الأحياء}}{\text{عدد الإناث في سن الحمل}} \times ١٠٠$$

٣- الخصوبة الخاصة:

تعبر عن العلاقة بين عدد المواليد حسب فئات أعمار الأمهات وهي أدق من نسبة الخصوبة العامة لأن عدد المواليد يختلف حسب أعمار الإناث ونتوصل إليها بالمعادلة التالية:

$$\text{نسبة الخصوبة الخاصة} = \frac{\text{عدد المواليد الأحياء لفئة عمرية من النساء}}{\text{عدد الإناث في نفس الفئة العمرية}} \times ١٠٠$$

٤- معدل الخصوبة لكل امرأة:

وهو متوسط عدد الأطفال الذي تنجبه المرأة الواحدة خلال فترتها الإنجابية وهذا المقياس هو الذي يستعمل غالباً في الإحصائيات الرسمية لأنه أكثر تعبيراً عن مستوي الخصوبة في مختلف دول العالم.

اختلاف الخصوبة حسب الشعوب:

إذا أردنا المقارنة بين الدول المتقدمة والدول النامية سنجد اختلافاً ناتجاً عن اختلاف التقاليد والعادات و الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتحكمة في العوامل المباشرة المؤثرة في الخصوبة كسن المرأة عند الزواج والرغبة في الإنجاب. فالمرأة المتعلمة تتأخر في الزواج كما أنها تميل إلي الحد من عدد المواليد.

نسبة التعويض الديموغرافي:

هي عدد الإناث الذي تنتجه المرأة الواحدة في الفترة الممتدة من ١٢ إلي٥٠ سنة، وتختلف هذه النسبة من بلد لآخر ويعبر هذا الاختلاف عن اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للسكان ففي الدول النامية تتراوح النسبة بين ٢.٢ و ٣.١ % وفي الدول المتقدمة تتراوح بين ٠.٦ و ٠.٩ % وهذه النسبة جد مهمة في الدراسات الديموغرافية لأنها تمكن من طرح بعض التوقعات بتعويض السكان في المستقبل، فإذا كانت هذه النسبة تفوق ١% فذلك يعني أن هناك إمكانية التعويض والتجديد وإذا كانت أقل من ١% فذلك يعني أن إمكانية التعويض ضعيفة.

ثانيا : الوفيات.

الوفاة حدث حتمي يضع نهاية لجميع المخلوقات ويصيب الإنسان في أعمار مختلفة وأهم ما يميزها هو الغموض الذي يحيط بها وخاصةً في بداية الحياة وتعتبر الوفاة إحدي الظواهر الديموغرافية المعقدة والمتحكمة في الديناميكية الديموغرافية وتطور حجم السكان، ومن أهم مقاييس الوفيات:

١- نسبة الوفيات العامة:

تدل علي العلاقة بين عدد الوفيات في سنة معينة ومجموع السكان في نفس السنة.

عدد الوفيات خلال السنة

نسبة الوفيات العامة= ـــ ×١٠٠٠

مجموع عدد السكان في نفس السنة

٢- نسبة وفيات الأطفال:

لهذه النسبة عدة مزايا إذ توضح مستوي الوفيات في مجتمع معين خلال السنة غير أن النسبة لا تميز بين الفئات السكانية المكونة للمجتمع فالسكان ليسوا متساوين أمام الوفاة فهناك اختلاف حسب السن والطبيعة والعمل وحسب الطبقة الاجتماعية.

٣- نسبة الوفيات حسب الأعمار:

تعد من أهم مقاييس الوفيات وتعبر عن العلاقة بين عدد الوفيات في فئة عمرية معينة وعدد السكان في نفس الفئة العمرية.

عدد الوفيات في فئة عمرية معينة خلال السنة

نسبة الوفيات حسب الأعمار= ـــ ×١٠٠٠

عدد السكان في نفس الفئة العمرية في نفس السنة

وتتجلي أهمية هذه النسبة في معرفة مستوي الوفيات حسب كل فئة عمرية وتساعد علي وضع ما يسمي بلوائح الوفيات و تعطي فكرة عن التطور الذي تعرفه الوفيات والذي يحول الي رسم بياني يسمي المنحني العمري للوفيات.

أمد الحياة:

وهو السن الذي يمكن أن يعيشه الإنسان في مجتمع معين ويصل في بعض الدول المتقدمة إلي ٧٩ سنة للرجال و ٨٦ للنساء وفي مصر ٧٥ للرجال ٧٧ للنساء وفي المغرب ٦٨ للرجال و ٧٢ للنساء بينما لايتعدي٤٠سنة في بعض دول أفريقيا السوداء مثل أنغولا وبعض دول آسيا كأفغانستان ٤٢ سنة.

مصادر البيانات السكانية

تعتمد الدراسات السكانية في دراستها علي مجموعة من المصادر الإحصائية المختلفة، ويمكن تقسيم هذه المصادر إلي مجموعتين رئيستين:

أولا : مصادر البيانات الثابتة:

١- التعداد Census[1].

يعتبر المصدر الأساسي والجامع لكل المعطيات السكانية المستعملة من طرف الباحثين والمهتمين لأنه لا يدلنا علي الأهمية الرقمية للسكان فقط بل يعطي بيانات تتعلق بمواضيع متعددة تخص المجال الاقتصادي والاجتماعي وميدان الإسكان وكل المجالات التي يجمعها قاسم مشترك وهو الإنسان فهو يعتبر من أقدم العمليات الإحصائية بهدف اتخاذ تدابير اقتصادية وإدارية مثال الحضارة الصينية والرومانية التي كانت له أهداف عسكرية أو ضرائبية.

أقدم إحصاء في العصر الحديث كان بالسويد ١٧٥٠م ويليه بالنرويج ١٧٦٩م وفرنسا وانجلترا ١٨٠١م وباقي دول أوروبا خلال القرن ١٩م. وفي مصر تم أول إحصاء عام ١٨٨٢م ثم توالي بعد ذلك كل عشر سنوات وكان آخر إحصاء عام ٢٠٠٦م وتم أول إحصاء بالمغرب ١٩٢١م وفيما بعد بصفة دورية خلال فترة الاستعمار ثم بعد الاستقلال حتي إحصاء عام ٢٠٠٤م.

---

[1] التعداد: هو العملية الكلية لجمع، وتجهيز، وتقويم، وتحليل، ونشر البيانات الديموجرافية والاقتصادية، والاجتماعية المتعلقة بكل الأفراد في قُطر معين وزمن محدد. ويتم التعداد بصورة دورية لا سنوية. وعُرف التعداد في الأزمنة القديمة، في مصر الفرعونية والدولة الرومانية، إلاّ أن أقدم تعداد في العصر الحديث قد أُخذ في إسكندیناوه وبعض الولايات الإيطالية والألمانية خلال القرن الثامن عشر، فقد أخذ أول تعداد في آيسلندا عام ١٧٠٣م، والسويد عام ١٧٤٩م،والنرويج عام ١٧٦٠م، والدانمارك عام ١٧٦٩م، وأسبانيا عام ١٧٨٧م، وفي الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٧٩٠م، وبريطانيا عام ١٨٠١م، وفي مصر عام ١٨٨٢م.

هذه الإحصاءات التي تقوم علي رأس كل ١٠ سنوات تهدف إلي عد السكان وقياس تركيبهم و نسبة تكاثرهم و معرفة توزيعهم الجغرافي إلي غير ذلك من المعلومات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي ترتكز عليها العديد من الإجراءات والقرارات الحكومية.

٢- المسح بالعينة:

أصبح استخدام المسح بالعينة من العوامل المكملة للتعدادات السكانية في سبيل الحصول علي بيانات توضح كل أو بعض خصائص السكان وتستخدم علي المستويين القومي والمحلي لهذا الغرض.

وتصمم العينة للحصول علي بيانات تطبق علي المجتمع السكاني بأكمله ولتحقيق ذلك فأنها يجب أن تسحب طبقاً لقواعد محددة ودقيقة دون أن يكون فيها تحيز من أي نوع ، وإذا ما اتبعت قواعد المعاينة أمانة ودقة فإن العينة حينئذ تكون ممثلة لإجمالي السكان.

الطرق غير المباشرة لعد السكان:

تتمثل في بعض الوثائق الإدارية كسجلات الحالة المدنية والتصريح بالولادات والوفيات وبيانات التوزيع المهني للسكان وبيانات عملية رسوم الزواج والطلاق وغيرهما من الوثائق التي لها علاقة بالسكان.

مشكلات الحصول علي البيانات الثابتة

هناك بعض المشكلات الخاصة المرتبطة بالدول النامية والتي لا تسمح بالاستفادة التامة من الطرق والوسائل المستعملة في التعرف علي الظاهرة الديموغرافية لمجموعة من الأسباب منها:

- قلة الأموال الضرورية للقيام بهذه العمليات.
- الافتقار إلي العدد الكافي من الباحثين المتخصصين في ميدان الإحصاء.

- انعدام سجلات الحالة المدنية التي تستعمل غالباً كمنطلق لعملية الإحصاء.
- جهل السكان لأهمية الإحصاء ما يجعل البيانات المستخرجة غير مطابقة أحياناً للواقع.

ثانيا : مصادر البيانات غير الثابتة:

١- الإحصاءات الحيوية Vital Statistics

تعتمد العوامل المؤثرة في حجم السكان، إضافة إلي التعداد، علي بيانات الإحصاءات الحيوية للسكان، التي تقوم علي التسجيل الحيوي، الذي يشمل تسجيل المواليد، والوفيات، والزواج، والطلاق.

إضافة إلي المصدرين السابقين، هناك سجلات الهجرة، التي تقوم بها نقط الجمارك والجوازات والجنسية في الموانئ، والمطارات، وأماكن العبور، ومن خلالها يمكن تتبع تدفق المهاجرين من القطر وإليه سنة بعد أخري. وتضاف أعداد المهاجرين إلي أعداد السكان المواطنين وتعرف بالزيادة غير الطبيعية[٢].

٢- سجلات الهجرة.

تعد بياناتها أقل قيمة من بيانات الإحصاءات الحيوية لعدة أسباب منها تعريف المهاجر يختلف من مكان لآخر أحياناً كذلك قد يكون التصنيف القائم علي مدة الهجرة والمسافة التي يقطعها المهاجر.

تتوفر بيانات الهجرة الدولية لدي كثير من دول العالم حيث تقوم الجمارك والجوازات والجنسية في الموانئ والمطارات وأماكن العبور ومن خلالها يمكن تتبع تدفق المهاجرين من وإلي البلد سنة بعد أخري بما في ذلك التقلبات التي تحدث استجابةً للظروف الاقتصادية والسياسية.

[٢] الزيادة الطبيعية هي الفرق بين المواليد والوفيات.

كثافة السكان:

جرت العادة علي اعتبار كثافة السكان مجرد نسبة عدد السكان في بقعة ما إلي مساحة هذه البقعة ، غير أن المدلول الجغرافي لهذه الكثافة البسيطة محدود القيمة علمياً وذلك لتفاوت الأهمية الاقتصادية في بعض الأحيان في المناطق الواحدة التي يكون بعضها مستقبل ، ولآخر غير مستقبل ولما كانت الكثافة السكانية تعتبر مقياساً لمدي استجابة الإنسان للبيئة التي يسكنها ومقدار التفاعل بينهما ، إلي جانب إمكانية استخدامها كمؤشر لقياس مستوي المعيشة ودرجة تشبع المنطقة بالسكان.

وقد تدرج الباحثون في دراستهم لكثافة السكان حتي توصلوا إلي تصنيفها علي **أسس أربعة هي:**

١- الكثافة الحسابية:

يقدر بها الكثافة البسيطة المعروفة وهي نسبة عدد السكان إلي مساحة الأرض التي يعيشون عليها بصرف النظر عن الإمكانيات الاقتصادية لهذه الأرض ومقدرتها الإنتاجية.

$$\text{الكثافة الحسابية} = \frac{\text{عدد السكان في منطقة ما}}{\text{المساحة الكلية لتلك المنطقة}}$$

وباستخدام هذه الطريقة في حساب الكثافة السكانية في العالم نجد متوسطها يصل إلي ٢١ نسمة / كم^{٢}، وإذا كان سكان مصر قد بلغوا ١٠٠ مليون نسمة بداية عام ٢٠٢٠م، فإن الكثافة الحسابية لمصر تصل إلي ١٠٠ نسمة في الكيلومتر المربع.

٢- الكثافة الفسيولوجية:

هي نسبة عدد السكان إلي مساحة الأرض المستثمرة اقتصادياً، ومعني هذا أن يستبعد من حساب هذه الكثافة الأراضي الصحراوية

والأراضي البور التي لم تشتغل بها أي أنها لا تناسب السكان إلي الأرض ، بل نضع في اعتبارنا الوظيفة التي تؤديها الأرض.

$$\text{الكثافة الفيزيولوجية} = \frac{\text{جملة عدد السكان في منطقة ما}}{\text{مساحة الأراضي المأهولة في هذه المنطقة}}$$

وعلي سبيل المثال تبلغ مساحة الأرض المأهولة في مصر وحدها حوالي ٧٨٢٧٣ كم٢ من جملة مساحتها مليون كم٢، وعدد سكانها ١٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٢٠م، وبذلك ترتفع الكثافة الفيزيولوجية لمصر إلي حوالي ١٢٧٨ نسمة / كم٢ تزيد بمقدار ٦٠ مرة علي الكثافة الحسابية لها.

٣- الكثافة الزراعية:

يشيع استخدام هذا النوع من الكثافة علي وجه الخصوص في البلاد الزراعية وهي تحسب بنسبة عدد السكان المشتغلين بالزراعة وحدهم الي مساحة الأرض الزراعية دون غيرها.

$$\text{الكثافة الزراعية} = \frac{\text{جملة عدد السكان في منطقة ما}}{\text{مساحة الأراضي الزراعية في هذه المنطقة}}$$

ومعني هذا أننا ندخل في الاعتبار عند حساب هذه الكثافة وظيفة السكان فضلاً عن وظيفة الأرض ، ومن الطبيعي أن تزيد هذه الكثافة في البلاد التي يشتغل معظم سكانها بالزراعة كمصر والهند والصين.

أما في البلاد التي لا يعمل في الزراعة بها سوي نسبة صغيرة من سكانها فتنخفض فيها الكثافة الزراعية.ففي مصر مثلاً تبلغ الكثافة الزراعية حوالي ٦٠٠ نسمة / كم٢.

بينما في بريطانيا التي لا يشغل بالزراعة سوي ٥ % فقط من عدد سكانها ومن ثم لا تزيد الكثافة الزراعية بها عن ٨٠ نسمة /

كم٢.والكثافة الزراعية تعطي فكرة صادقة علي العلاقة بين الأيدي العاملة الزراعية والأرض الزراعية ، وبمعني آخر فهي مقياساً سليماً لقياس العمل.

٤- الكثافة الاقتصادية العامة :

ولما كانت الأنواع الثلاثة السابقة من الكثافات مازالت عاجزة عن أن تمدنا بمقياس إحصائي دقيق للعلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية التي لن تدخل في اعتبارها المقدرة الإنتاجية للأرض.

لذلك حاول بعض الباحثين ابتكار نوع رابع من الكثافات يعرف بالكثافة الاقتصادية العامة.وليس من السهل الوصول الي طريقة لحساب المقدرة الإنتاجية للدولة الواحدة ، خصوصاً في البلاد الصناعية والتجارية التي لا تعتمد اعتماداً مباشراً في إنتاجها الاقتصادي علي الأرض.

$$\text{الكثافة الاقتصادية العامة} = \frac{\text{عدد السكان في الدولة}}{\text{مجموع الدخل}}$$

وعند حساب هذه الكثافة الزراعية يتطلب الأمر أن نضع في اعتبارنا ضوابط الإنتاج الزراعي التي أهمها درجة خصوبة التربة ومدي توافر الماء.

بذلك كله لم يستقر الباحثون علي طريقة لحساب الكثافة الاقتصادية العامة التي بين الإنسان والموارد الاقتصادية.

ونظراً لعدم توافر بيانات إحصائية كاملة تمكن من توزيع الكثافات الثلاثة الأخيرة علي خريطة العالم التي تمكنه من إجراء الدراسات المقارنة ، لذلك فإن أغلب الدراسات التي تبحث في توزيع الكثافة للعالم تعتمد فقط علي الكثافة الحسابية البسيطة برغم أنها من قصور في المدلول الذي يصل إلي حد التقليل في بعض الأحيان.

العوامل المؤثرة في انتشار الإنسان:

يمكن تقسيم العوامل التي أثرت في انتشار الإنسان إلي مجموعتين تشمل الأولي منها العوامل الطبيعية التي لا مفر من تأثيرها علي الأنماط المختلفة لتوزيع الإنسان والتي في نفس الوقت من الممكن تعديلها لملائمة أنماط الحياة الجديدة، والعوامل البشرية التي تساهم مع العوامل الأولي في تشكيل الإنسان.

أولا : العوامل الطبيعية:

من بين العوامل الطبيعية الرئيسية التي أثرت في انتشار المجموعات البشرية وجود الكتل الجبلية وتوزيع المناطق الصحراوية والأقاليم الحارة الرطبة وموارد المياه ولا يقتصر الأمر علي أثر هذه العوامل في انتشار وتوزيع الإنسان بل أيضاً لها تأثير علي تكوين جسم الإنسان ، وعلي نوع الحياة النباتية والحيوانية وإمكانية الاستغلال الاقتصادية في المنطقة ونوع وسائل النقل وغيرها من الأشياء التي تؤثر علي نشاط الإنسان وحرفته بصفة عامة.

من المفترض أن الإنسان يستطيع أن يتلاءم مع بيته الطبيعية وربما خير دليل علي ذلك توزيع المجموعات السلالية الكبرى في العالم الذي هو نتيجة لعملية ملائمة استمرت آلاف السنين.

١-المناخ:

استقرت المجموعات الزنجية في المناطق المدارية والأقاليم الحارة في حين لاءمت المجموعات القوقازية حياتها للمعيشة في الأقاليم المعتدلة ومن ثم فسكان المناطق الحارة أقدر من الزنوج علي المعيشة في بلدان يتصف مناخها بالبرودة في نفس الوقت تساعد الحبيبات الملونة الكثيفة الموجودة لدي الزنوج علي مقاومة أشعة الشمس المحرقة في

مناخ استقرارهم. هذه الملائمة حددت إلي حد ما مناطق انتشار كل مجموعة جنسية.

الإنسان والعروض العليا الباردة:

لعل من أكثر العوامل الطبيعية التي أثرت في انتشار الإنسان البرودة ولاسيما إذا ما انخفضت درجة الحرارة انخفاضاً كبير بصفة دائمة أو فصلية ، كما أنها تأثر علي فصل الإنبات لأن النباتات تفضل الفصول الدفيئة لازدهارها وتذبل وتموت مع شدة البرد. ففي نصف الكرة الجنوبي خارج قارة أنتاركتيكا (القارة القطبية الجنوبية) نجد أن أقصي طرف أمريكا الجنوبية هي المنطقة الوحيدة التي تتصف ببيئة العروض العليا، ففي كل هذه المناطق بالإضافة إلي المناطق الباردة الشمالية لا يمثل البرد العامل الوحيد الذي يحد انتشار الإنسان بل أن طول الليل وضعف الأشعة الشمسية مسئولة عن فقر السكان الأصليين وقلت مواردهم ونقص الفيتامينات التي تؤثر في نموهم وتكاثرهم ، فهذه العوامل مسئولة أكثر من الحرارة عن انخفاض نسبة الخصوبة لدي بعض الجماعات القطبية.

٢-التضاريس:

تأثير الارتفاع علي الإنسان أمر أكثر تعقيداً من تأثير البرودة عليه ففي المناطق المناخية تلعب التضاريس دوراً مهماً في اختلاف وتدرج المناخ وذلك إلي جانب أثرها علي النشاط البشري فعلي سبيل المثال إذا ما كان هناك سلسلة من المرتفعات شديدة الانحدار تتميز بوجود صخور عالية مثل هذه المرتفعات - بغض النظر عن ارتفاعها - تعوق النشاط البشري كما تعوق انتشاره وخير مثل علي ذلك جبال الهيمالايا وكيف جعلت من شبه القارة الهندية صندوق مقفل.

وعلي النقيض من المناطق الجبلية سهول الأودية المتسعة أو الأحواض المفتوحة إذ أن إمكانيات الاستغلال والانتشار في المناطق الأخيرة سهلة وميسرة. فعلي سبيل المثال كان وادي النيل طريقاً لانتشار الهجرات القادمة من جنوب غرب آسيا إلي السودان وأواسط أفريقيا كما كان حوض نهر الدانوب الطريق الطبيعي للهجرات التي وفدت من وسط آسيا إلي القارة الأوربية.

ويظهر أثر عامل الارتفاع بوضوح علي تغير الضغط إلي يؤثر بدوره علي الإنسان فدوار الجبال أمر معروف لكثير من الناس الذين يتسلقون الجبال إلي ارتفاع ٦٠٠٠ قدم. وقد يؤدي هذا الدوار إلي الموت علي ارتفاع ٢٥ ألف قدم. أما عن سكان الجبال في أودية الهيمالايا أو في الهضاب المرتفعة فقد تأقلموا علي المعيشة علي ارتفاع ١٢ ألف قدم أو ١٦ ألف قدم هو الحال في البيرو ولكن الارتفاع في حد ذاته عامل محدود إذ يصاحبه عوامل أخري مثل فقر الموارد التي تشمل حياة الإنسان قبل أن يأتي أثر الارتفاع.

وفي المناطق الاستوائية والمدارية نجد للجبال أثر ملطف علي المناخ إذ يتحول بفضل الارتفاع إلي مناخ معتدل أو بارد ومن ثم تجتذب هذه الأماكن السكان للاستقرار بها. ففي كولومبيا سلاسل الأنديز علي ارتفاع ١٠ آلاف قدم وما يقرب ٩٨% سكانها يتركزون حولها في حين تصل في الإكوادور إلي ٨٥% وفي بيرو ٦٢% وفي بوليفيا ٧٥ في المائة. وفي المناطق الجافة تعتبر الجبال أيضاً من المناطق المحظوظة لأنها تجذب الأمطار إليها وتقدم مرعي للحيوانات أو إمكانية الأحواض أو المدرجات. وفوق هذا كله فإنها السبب في المياه المخزونة من السيول الجارفة المحيطة. ووفرة الماء في المناطق الجبلية تسمح بزراعة الأقاليم المجاورة وأيضاً السهول البعيدة ويمكننا أن ندرك هذه الحقيقة إذا ما

تصورنا أن رخاء مصر يرجع إلي الأمطار التي تسقط علي مرتفعات الحبشة.

كذلك تقدم الجبال إمكانات لا حصر لها من حيث توليد القوي الكهربائية التي بدورها من الممكن استغلالها في الري وإقامة أود أعداد كبيرة من السكان كما أنه علي أقدام الجبال كثيراً ما تقوم قري أو مدن بالقرب من موارد المياه أو كمحطة للسفر.

الإنسان والصحراء:

يعتبر نقص الماء من العوامل الطبيعية الهامة التي تؤثر في توزيع الإنسان ووجوده ويمكن تشبيه الصحراء بالمحيط الذي لا يوجد به ماء والواحات الموجودة بها بالجزر التي يقطنها الإنسان. ونقص الماء مع ارتفاع درجة الحرارة يؤدي إلي الموت إذ من الضروري أن يشرب الإنسان يومياً لتر ونصف من الماء ومن ثم فقد وقفت الصحراء دائماً عقبة في سبيل انتشار الإنسان.

وليس معني ذلك بطبيعة الحال انه لا يوجد سكان في الصحراء إذ أن هناك سكان أعدادهم قليلة وكلهم يتمركزون في مناطق الواحات. وقد تعودوا علي الانتقال والارتحال والمقدرة علي تحمل العطش وهي صفات اقتضتها ضرورة الملائمة للبيئة الصحراوية. وسكان الصحراء في صراع مستمر مع ندرة الأمطار فحرفة الرعي جعلتهم يستغلون الأمطار النادرة استغلالاً كاملاً وذلك عن طريق الهجرة علي أطراف الصحراء أو بمراقبة العواصف التي يعقبها سقوط المطر.

وفي بعض الأحيان لجأ سكان الصحراء إلي استخدام الزراعة الجافة أو زراعة أنواع من النباتات الصحراوية. ومن ثم فانتشار مراكز تجمع سكان في الصحراء أمر ممكن غير أنه محدد بوجود المياه وكمياته ذلك إلي جانب العوامل الطبيعية الأخري والتقدم التكنولوجي.

٣-موارد المياه:

كما سبق أن ذكرنا أن وجود الماء ضرورة حيوية للإنسان إذا ما توفرت استطاع أن يقيم حياة مزدهرة وأن عزت انتشر وتفرق ،والمياه بصفة عامة يجدها فيتكاثر حولها. ذلك بالإضافة إلي أن المجاري المائية أو المياه بصفة عامة تعتبر وسيلة هامة من وسائل الربط والاتصال بين المجموعات البشرية والدليل علي ذلك أي خريطة للسكان حيث نلاحظ أن الكثافات العالية للسكان أكثر في المناطق الساحلية من المناطق الداخلية.

٤-التربة والتكوين الجيولوجي:

لعبت التربة والتكوين الجيولوجي للأقاليم المختلفة دوراً فعالاً في اجتذاب السكان إليها ولاسيما إذا ما كان الإقليم متشابهاً في ظروفه المناخية ومظاهره التضاريسية فالتربات الفيضية التي كونتها الأنهار وتربات اللويس والتربة البركانية كانت دائماً مغناطيسياً بالنسبة للإنسان يتجه نحوها وذلك علي النقيض من المناطق الصحراوية والحصوية.

وإلي جانب توزيع التربة يؤثر توزيع الثروة المعدنية المرتبطة بالتكوين الجيولوجي للإقليم وكذلك الموارد الطبيعية الأخرى كالغطاء النباتي والحيواني في توزيع السكان وانتشارهم. وهذه الموارد كما نعلم غير موزعة توزيعاً عادلاً في جميع أنحاء العالم فهناك مناطق غنية بثرائها المعدني وأخري فقيرة.

ثانيا : العوامل البشرية:

إلي جانب العوامل الطبيعية التي تؤثر في انتشار الإنسان هناك العوامل الاقتصادية التي كثيراً ما تقرر نمو التوزيع السكاني في منطقة ما. ففي المجتمعات البدائية أو التي تعتمد علي الاقتصاد الطبيعي نجد أن البيئة فقيرة وإمكانياتها محدودة ومن ثم تضطر الجماعات البشرية إلي الهجرة من منطقة لأخرى وذلك نتيجة لاستنزاف موارد المنطقة.

أما الجماعات التي تعتمد علي الزراعة وتربية الحيوان أي المجتمعات الريفية فتقوم أساساً علي وجود فائض من الطعام ومن ثم فكثيراً ما تكون مناطق جذب للإنسان وليس مناطق طرد لهم اللهم إلا إذا كانت زراعة كثيفة أي أن هناك أعداد كبيرة من السكان تفلح مساحة محدودة من الأرض بحيث لا يكفي إنتاجها حاجتهم كما هو الحال في بعض أراضي جنوب شرق آسيا حيث يهاجر سكانها إلي مناطق أخري من العالم.

١- النقل والاتصالات:

كان من نتائج تقدم وسائل المواصلات في القرن ٢٠ أن أصبح الاتصال بين الجماعات المختلفة سهلاً ميسوراً ومن ثم انتشر السكان فوق مساحة أوسع من الكرة الأرضية فالنقل البحري ساعد علي اكتشاف أراضي جديدة إذ قدم وسائل نقل رخيصة للطرق الطويلة وساعد علي تعمير البلاد الحديثة. هذا ما حدث عندما عمرت أمريكا الشمالية بالسكان حيث شيدت الخطوط الحديدية عبر القارة من الشرق إلي الغرب ، وما حدث أيضاً عندما مد خط حديد سيبيريا والخطوط الحديدية الحديثة في الصين.

ولا يقتصر أثر وسائل النقل علي الجانب الاقتصادي فحسب بل لها أيضاً أثرها الحضاري إذ أن المواصلات خلقت حاجات جديدة للمجتمعات.

٢- الصناعة وأثرها علي توزيع السكان:

كان من نتيجة تطور وسائل النقل أن أمكن تركيز الصناعة في أماكن معينة ومن ثم حلت المصانع الكبيرة المتجمعة محل الصناعات الحرفية المحلية المتفرقة. ومع تطور الصناعة واستخدام الفحم انتقلت الصناعات صوب حقول الفحم لتكون قريبة منه ومن ثم لعبت حقول الفحم في شمال غرب أوروبا دوراً مهماً في التطور الصناعي السريع وقد

تبع ذلك هجرة المصانع إلي مراكز التعدين والمدن الصناعية ومن ثم فقد وصلت الكثافة السكانية في المنطقة الممتدة من لانكشير بانجلترا إلي الرور بألمانيا ومن سيليزيا إلي سانت أتين ما يقرب من ١٠٠٠ شخص/ كم٢ وقد حدث نفس الشئ في منطقة الدونتز والأورال بروسيا وفي منطقة جبال الآبلاش بالولايات المتحدة وفي المراكز الأخري للتركز الصناعي.

هذا ويجب أن نلفت النظر إلي أن الصناعة تشبه الزراعة في كونها تأثر في أنماط توزيع السكان وذلك حسب طبيعتها ، فالصناعة الثقيلة تجتذب السكان وذلك علي النقيض من بعض الصناعات التي تتوقف علي الاستيراد وتزويد إنتاجها من آن لآخر فصناعة الغزل والنسيج والصناعات الميكانيكية والصناعات الخفيفة ترتبط دائماً بمراكز تجمع السكان وكثيراً ما تنشأ في أماكن غريبة بين المدن علي حين لا تحتاج الصناعات التعدينية والكيماوية إلي تشغيل أعداد كبيرة من السكان.

٣- الحروب والنزاعات السياسية:

تعتبر الأحداث السياسية بشكل عام من العوامل البشرية الرئيسية التي تؤثر علي التواجد السكاني في منطقة معينة؛ فالمناطق التي تنشب فيها الأحداث السياسية وتسبب اقتتالاً يهاجر سكانها إلي الدول الأخرى طلباً للأمن لهم ولأسرهم، ومن هنا نري أن توزيع السكان قد يبقي مختلفا حتى بعد انتهاء الأزمات

والخلاصة أن هناك عوامل عديدة ومختلفة أثرت ومازالت تؤثر في انتشار الإنسان وهجرته. فعلي الرغم من أن الوطن الأصلي للإنسان مسألة فرضية وليست أمراً ثابتاً إلا أنه من المؤكد أن المجموعة الزنجية نشأت في المناطق الاستوائية علي حين تركزت المجموعة القوقازية في أوروبا وشمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا والمجموعة المغولية في آسيا. وقد لعبت العوامل الطبيعية والبشرية دوراً متفاوتاً في عملية انتشار الإنسان

وكان الإنسان تأثير الارتفاع علي الإنسان أكثر تعقيداً من تأثير البرودة عليه ، كما كان من نتائج تحسن وسائل المواصلات في القرن العشرين أن تمكن الإنسان من الانتشار فوق مساحة كبيرة من اليابس.

تطور نمو السكان في العالم:

شهد العالم نمواً سكانياً متزايداً خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، ففي منتصف القرن السابع عشر كان عدد سكان العالم حوالي ٤٥٠ مليون نسمة ، ثم تضاعف خلال مائة عام (١٨٥٠م) حيث وصل إلي ١١٧٠ مليون نسمة ، ووصل هذا الرقم إلي ١٦٠٠ مليون نسمة في بداية القرن العشرين وفي منتصفه (١٩٥٠) قفز عدد سكان العالم إلي ما يقرب من ٢٥٠٠ مليون نسمة ، ليصل في بداية ٢٠٠٠م إلي ٦٠٠٠ مليون نسمة ، ويلاحظ تضاعف سكان الكرة الأرضية خلال القرن الأخير حوالي أربعة مرات ، والمتوقع أن يصل حجم سكان الأرض إلي ١٠ مليار نسمة سنة ٢٠٥٠م.

أما عن أسباب هذا النمو السكاني السريع فيتلخص في **قيام ثلاث ثورات تكنولوجية** في خلال القرنين الأخيرين. وهذا الثورات شملت ميدان الطب والصحة العامة وميدان الزراعة ثم ميدان الصناعة ذلك إلي جانب وسائل النقل.

١- الثورة التكنولوجية الطبية:

ربما كانت أهم هذه الثورات من وجهة نظرنا الخاصة وهي التي شملت ميدان الطب والصحة العامة والتي نتج عنها القضاء علي كثير من الأمراض والتقليل من حدة بعضها الآخر، والدليل علي ذلك أن وفيات الأطفال قد خفضت من ٢٠٠ بالألف إلي ٣٠ بالألف، ومعني ذلك أن ستة أطفال من بين كل سبعة أطفال كانوا يموتون منذ قرنين. وقد انخفض أيضاً متوسط نسبة الوفيات حوالي ٤٠ بالألف إلي ١٢ بالألف في نفس

الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة المواليد ما بين ٢٥ بالألف و٣٠ بالألف إلي ما بين ٦٠ بالألف و٧٠ بالألف.

٢- الثورة التكنولوجية الزراعية:

ترتب علي الثورة الزراعية زيادة المعلومات عن طبيعة النباتات المختلفة وطرق زراعتها الأمر الذي ترتب عليه ارتفاع غلة الفدان في بعض المناطق ارتفاعاً كبيراً ولاسيما في أوروبا.

٣- الثورة التكنولوجية الصناعية:

ساعدت الثورة التكنولوجية الصناعية علي زيادة فائض الطعام بالوسائل الآتية:

أ- توفير وسائل المواصلات التي بواسطتها أمكن نقل المواد الغذائية من المناطق الوفيرة الإنتاج إلي مناطق الاستهلاك وهجرة السكان عبر البحار إلي مناطق جديدة قليلة السكان.

ب- استخدام الآلات الزراعية.

ج- تمكين بعض دول غرب أوروبا ولاسيما بريطانيا من شراء المواد الغذائية في مقابل تصدير منتجاتها الزراعية.

<u>من هذا التوزيع يمكن أن نستخلص الحقائق التالية:</u>

- يتركز ما يزيد علي نصف سكان العالم في قارة آسيا وحدها علي حين تضم قارة أوراسيا التي تضم قارتي آسيا وأوروبا معاً حوالي ثلاثة أرباع سكان العالم.
- يحتوي العالم القديم علي حوالي ٨٦ % من جملة سكان العالم في مقابل ١٤% من جملة سكان العالم يتمركزون في كل من أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.
- يعيش حوالي ثلث سكان العالم في سبع مساحة العالم أي أنه ليس هناك توزيع عادل للسكان بالنسبة لمساحة الجزء المعمور من الأرض.

- يعيش ما يقرب من ٥٠٠٠ مليون نسمة في نصف الكرة الشمالي الذي يتصف بأنه أكثر صلاحية للسكن من نصف الكرة الجنوبي للعالم القديم والجديد علي السواء وذلك راجع بطبيعة الحال إلي اختلاف توزيع اليابس والماء في نصف الكرة الشرقي والغربي وكذلك في نصفها الشمالي والجنوبي.

المناطق الرئيسة لتركز السكان:

يوجد ثلاث مناطق لتركز السكان في العالم وهذه المناطق هي:

١- نطاق شرق آسيا وجنوبها الشرقي:

تتمثل في المناطق المجاورة للمحيطين الهادي والهندي والممتدة من شمال الصين صوب الجنوب والجنوب الغربي حتي حدود الهند، وإذا أضفت إلي هذا النطاق شبه القارة الهندية والجزر المجاورة لها ستجد أن ما يقرب من ٣٠٠٠ مليون نسمة أي حوالي نصف سكان العالم يتمركزون في هذا النطاق.

٢- نطاق أوروبا وروسيا الأوربية:

يضم هذا النطاق ١٢٠٠ مليون نسمة أو ما يعادل خمس سكان العالم.

٣- نطاق شرق أمريكا الشمالية:

يعيش في هذا النطاق ما يقرب من ٢٠٠ مليون نسمة أي ما يوازي ١% من سكان العالم.

يمكن أن تستخلص من هذا التوزيع أن منطقتين من مناطق التكدس السكاني في العالم تقعان كلية في المناطق المعتدلة الاستوائية علي حين يقع نطاق تركز السكان الأسيوي في المناطق المدارية والمناطق الاستوائية في اندونيسيا وهذه النطاقات الثلاثة تشمل حوالي ثلاثة أرباع سكان العالم.

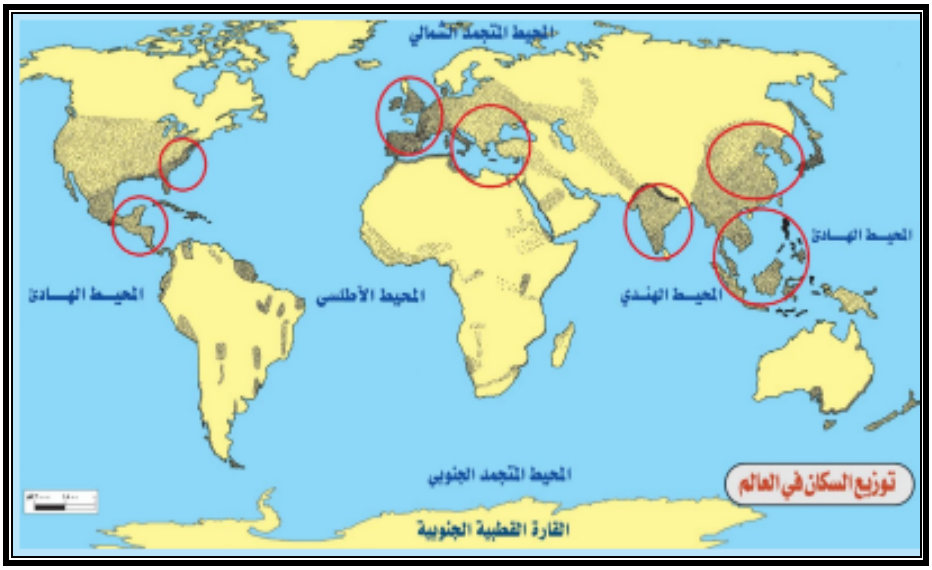

المناطق الرئيسة لتركز السكان في العالم

المناطق الفرعية لتركز السكان:

هذه المناطق أقل عدداً من المناطق الأولي ومن بين هذه المناطق التالية :

١- جنوب شرق استراليا.

٢- الأطراف الغربية للولايات المتحدة الأمريكية.

٣- حوض نهر بلاتا بأمريكا الجنوبية.

٤- شمال أفريقيا وجنوبها.

ويتركز في كل المناطق السابقة حوالي ٤٠٠ مليون نسمة أما عن بقية سكان العالم فيمكن ملاحظة أنهم يعيشون متفرقين خارج المناطق المعتدلة والمدارية التي سبق ذكرها، وهؤلاء ينتشرون في بعض البقاع الصالحة للاستقرار والمتناثرة علي سطح الأرض مثل أحواض المكسيك المرتفعة ، وحول ساو باولو وفي السهول الساحلية الشمالية الشرقية بالبرازيل وأيضاً في سهولها الشرقية. وفي أفريقيا بوادي النيل وفي بعض المناطق الساحلية علي خليج غانة وفي زانزيبار وحول بحيرة فيكتوريا.

في آسيا هناك منطقة الشرق الأوسط وروسيا الآسيوية والمناطق الساحلية والأودية وحول مناطق التعدين ومراكزه.

المناطق شبه الخالية من السكان

وعلي النقيض من مناطق تركز السكان السابقة توجد مساحات شاسعة تكاد تكون خالية أو شبه خالية من السكان. ومثل هذه المناطق توجد في :

١- المناطق القطبية في أمريكا الشمالية وآسيا وفي اسكندیناوة حول الدائرة القطبية.
٢- وسط آسيا إلي شرق من بحر قزوين.
٣- في الصحراء الكبرى وصحراء كلهاري.
٤- وسط استراليا.
٥- حوض الأمازون في قلب أمريكا الجنوبية.
٦- المناطق الجبلية المنتشرة في العالم.

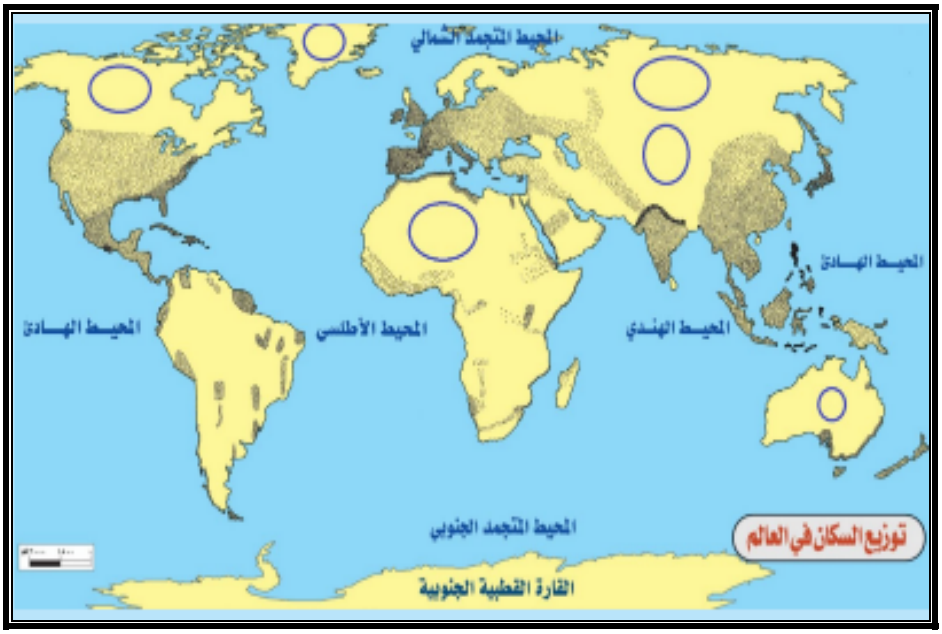

مناطق التخلخل السكاني في العالم

الفصل الخامس

مراكز الاستيطان البشري

(جغرافية العمران)

تتعدد مراكز العمران والتوطن البشري وتختلف من مكان لآخر حسب طبيعة التوطن والظروف الجغرافية المحيطة به. وعلي الرغم من تعدد أشكال هذا التوطن إلا أن جميع أنماطها سواء كان هذا التوطن في قرية أو بلدة أو مدينة أو أي محلة عمرانية أخري يختلف اسمها عن ذلك، تتصف بأن هناك استقرار بشري وارتباط بين الأرض والإنسان يمنح السكان صفة الاستمرارية في ممارسة الأنشطة الاقتصادية داخل نطاق المحلة العمرانية التي يستوطنون بها.

مراكز العمران:

وفي مجال دراستنا سنتناول دراسة القرية والمدينة وهما أهم أنماط أو أشكال التوطن والعمران البشري.ومع أن فكرة المدينة واضحة لدينا جميعاً حيث يمكن إدراكها بالقياس إلي القرية وذلك علي الأقل من المظهر الخارجي لكل منهما إلا انه من الصعب وضع تعريف واضح ومحدد لها والسبب في ذلك تشابه القرية والمدينة أحياناً في بعض المميزات العمرانية كالمظهر الخارجي أو عدد السكان أو سبب كثرة الاختلافات بين المدن بعضها البعض نتيجة لاختلاف وظائفها.

الفرق بين القرية والمدينة

ولعل أبسط مظاهر التفرقة بين القرية والمدينة هو أن سكان القري معظمهم من الفلاحين الذين ترتبط حياتهم بالزراعة وتربية الحيوان وخدمة الأرض وهذا علي النقيض من المدن التي يشتغل معظم سكانها بحرف أخري لا تتصل بإنتاج الأرض كالصناعة والتجارة والخدمات العامة.

والمدينة إذن ممكن أن تعرفها من شوارعها المرصوفة ومن منازلها المتناسقة المرتفعة وكذلك من محلاتها التجارية المتنوعة التي تشتمل علي محلات كبيرة تضم عديد من السلع بالإضافة إلي وجود الخدمات

المختلفة كالكهربا والمياه النقية والمجاري وشبكة من الموصلات أما القرية فهي تجمع للسكان تتلاصق مساكنهم وتتميز بالانخفاض وتقل بها الخدمات المختلفة.

هذه التفرقة يمكن أن تطبقها في جمهورية مصر العربية وعلي أساسها يمكنك أن تعدد المدن الموجودة ، لكن إذا ما حاولت أن تستخدم هذا المقياس الاجتهادي للتفرقة بين القرية والمدينة في انجلترا مثلاً أو سويسرا أو أمريكا الشمالية لا تستطيع أن تفرق بين القرية والمدينة لأن القرية الانجليزية تجد شوارعها مرصوفة وتجد منازلها مبنية بطريقة لا تقل من حيث الجودة عن المنازل المبنية في المدن المصرية.

العمران الحضري (المدن)

ومعني ذلك أن تعريف المدينة قد يختلف من بلد لآخر ومن مكان لآخر:

تعريفات المدن المختلفة يمكن إجمالها فيما يلي:

١- التعريف الإحصائي:

ويعتمد علي اتخاذ رقم معين من السكان للتفرقة بين القرية والمدينة ولكن ليس الحجم السكاني مقياس العمران المدني أو الريفي فهناك محلات عمرانية كبيرة في بعض جهات العالم ولكنها قري بالمفهوم العام للقرية أي في مظهرها ووظيفتها. ويلاحظ أن حالة مصر كبلد زراعي بها قري كبيرة تضم أكثر من ٥٠ ألف نسمة وهذا العدد كفيل باعتبار هذه القرى مدناً تبعاً للتعريف الإحصائي للمدن في الولايات المتحدة وهولندا واليونان وبلجيكا وانجلترا.

٢- التعريف الإداري:

كثيراً ما يظهر الفرق بين المدينة والقرية بالتحديد الإداري ففي بعض البلاد الأوروبية كان يصدر مرسوم حكومي يعطي مكاناً معيناً صفة

المدينة ويعطي لهذا المكان حقوقاً علي المحلات المجاورة كما يفرض عليه واجبات كوظيفة السوق والحصن. وقد انتهت هذه الطريقة مع العصور الوسطي وأصبحت الناحية الإدارية تفرض علي المحلة بعد إدراك أهميتها وأهمية موقعها بالنسبة لبيئتها المجاورة.

٣- التعريف علي أساس المظهر الخارج:

حيث يمكن التعرف علي المدينة كما سبق أن ذكرنا من مظهر مبانيها وحجمها وطبيعة شوارعها ومنشآتها المتنوعة.

٤- التعريف الوظيفي:

وهذا التعريف قائم علي أن التفرقة بين المدينة والقرية يعتمد أساساً علي وظيفة المحلة ذاتها فمن البديهي أن القرية تعيش للزراعة وعلي الزراعة والمدينة هي ما ليس كذلك، أو هي (اللازراعية).

نشأة المدن وتطورها

المدن القديمة:

ترتبط مشكلة نشأة المدن بمعرفة متي تحولت القرية إلي مدينة وقد كانت حلقة الانتقال من القرية إلي المدينة هو وجود فائض إنتاج الطعام ووفرته وقد حدث ذلك أبان العصر الذي شاهد كما سبق أن ذكرنا نشأة القري. ففي هذا العصر ازداد عدد السكان وأتيحت الفرصة لعدد منهم أن ينسلخ عن فلاحة الأرض وإنتاج الطعام والتخصص في حرف أخري ، ذلك بالإضافة إلي أن الدورة الزراعية ارتبطت بفصول النمو ومن ثم كان هناك فترات فراغ لا يقوم الإنسان فيها بالزراعة.

ومن الممكن القول أن المدن الحقيقية قد ظهرت في منطقة الشرق الأوسط في غضون الألف الخامسة ق.م حيث كانت تضم بين سكانها رجال الدين والتجار الصناع الذين قدموا خدماتهم لمجتمعات أكبر كان لديها فائض من الطعام يقدم نظير خدماتهم. ومن أمثلة المدن القديمة مدينة

بابل بالعراق ومدينة هارابا بالهند ومدن مصر القديمة كمدن: بوتو وسايس وقفط وأبيدوس.

المدن اليونانية:

تمكن ملاك الأرض الأغنياء من طبقة النبلاء في اليونان إلي الوصول إلي مركز السلطة في غضون القرن ٨ ق.م وتمكن القادة الذين ينتموا إلي هذه المجموعة أن يمارسوا كثيراً من النفوذ الذي كان يمارسه الملوك من قبلهم فقد اختفت القلعة والقصر وحلت المعابد الدينية محلها. وعلي الرغم من أن الحصن الأكروبوليس (Acecpcolis) الموقع الدفاعي كان نقطة هامة في تأسيس المدينة إذا كان مركزها إلا أنه سرعان ما ترك مكانه إلي السوق العام أو كما يسمي الأجورا (Agora).

وقد نشأت المدن اليونانية في جزر بحر إيجه وكربت وسواحل اليونان وكانت من أهم المدن مدينة ميكيني ومدينة كنوسوس ومدينة أثينا.

المدن الرومانية:

كان من نتيجة الحروب اليونانية أن وهنت قوة أثينا في خلال القرن ٤ ق.م ومن ثم أصبحت لقمة سائغة لجيوش الإسكندر الأكبر ،

ولكن رغم ذلك فلقد ظلت سمات عصر الديمقراطية الممثلة في الحكمة والمنطق والسببية والصفات الجمالية ظلت قوية في تربة أثينا ، فحقيقة هُزمت الجيوش اليونانية ولكن من المؤكد أن حضارتهم سادت الغزاة. فقد انتشر التأثير الإغريق علي طول شواطئ البحر المتوسط ومع العصر الروماني ظهرت نماذج هندسية ومعمارية جديدة لبناء المدن.

في هذا العصر ازدهرت المدن القديمة كما أقيمت مدن جديدة فنمت مدينة الإسكندرية وسرقوسة من حيث الحجم والسكان. وقد أصبحت المدينة الرومانية مسرحاً لترف الأباطرة فأضيف إلي "الأجورا" المباني العامة الفخمة والمكتبة والسجن وبيت المال. بالإضافة إلي ذلك فقد شيدت الحمامات والملاعب كما أقيمت الحدائق والمتنزهات بعد أن أخذوا فكرتها من الشرق.

مدن العصور الوسطي:

في خلال القرن الخامس الميلادي أخذت الحضارة الغربية تحت وطأة الترف والاحتفالات تنحل وتدهورت تجارتها وتحول سكانها المدنين للحياة الريفية. ومن ثم فقد تقلص حجم المدن ونقصت أهميتها وتبع ذلك اضطراب الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وإذا كانت مدينة العصور الوسطي قد امتازت بشئ في مراحلها الأولي فإنما تتسم بسيادة الكنيسة أو الإرساليات وقلعة اللورد واحتلت الكنيسة مكان السوق. ومع ازدياد الخدمات الممنوحة من اللوردات للتجار تمكن التجار من تأسيس نقابات لهم ومن ثم بنوا صالة النقابة وصالة المدينة بالقرب من مكان السوق ، أما القلعة فقد أحيطت بأسوار خاصة لتكون الحصن النهائي أمام الأعداء إذا ما حاولوا دخول المدينة واقتحام حصونها.

ورغبة في ازدياد تحصين المدينة. فقد اختيرت الجزر أو قمم التلال أو غيرها من مظاهر السطح المعقدة لتكون مواضعاً لمدن العصور الوسطي التي خططت لتناسب الظاهرات الطبوغرافية في المواقع التي أقيمت عليها ، ومن أمثلة مدن العصور الوسطي في أوروبا مدينة تروي بفرنسا ومدينة أولدنبرج بألمانيا.

مدن الباروك:

نشأت هذه المدن في غضون القرنين السابع عشر والثامن عشر وقد اتسمت هذه المدن بعظمة قصور الملوك التي كانت تتخذ كمظهر لسيادة الحاكم.وقد تميزت مدن الباروك بإقامة الساحات الكثيرة وكان هذا الاتجاه عام لكثير من مدن هذه الفترة.

ومما هو جدير بالذكر أن القصور والحدائق الكبرى التي أقيمت في عصر الباروك كانت تخص الطبقة الغنية التي تضم الملوك والأمراء والتجار الموسرين. أما عامة الشعب أو الطبقة الفقيرة فقد ظلت محافظةً علي تقاليد بنائها التي كانت عليها في العصور الوسطي ومن ثم فخلف الساحات والطرقات العريضات وجدت الأحياء المزدحمة بالسكان التي افتقرت إلي نظام توزيع المياه والصرف والمجاري والشروط الصحية.

مدن الثورة الصناعية:

من المعروف أن القرن ١٩م هو عصر الآلة إذ أنه حتي ذلك التاريخ كانت معظم الصناعات يدوية تابعة في ورش صغيرة ملحقة بالمنازل كما كان عدد العمال صغير الأمر الذي أدي إلي وجود صلة دائمة وعلاقة مباشرة بين العامل وصاحب العمل.

ولكن مع اختراع الآلة البخارية في أواخر القرن الثامن عشر وتعميم استخدامها في المصانع زاد الإنتاج ونشطت التجارة وتحولت الصناعة من الورش الصغيرة لتحتل مناطق صناعية متخصصة ، ومن ثم زاد عدد العمال وتكونت نقابات العمال التي تدافع عن حقوق المنتمين إليها

أمام أصحاب العمل. وهذه النقابات كانت علي طرف النقيض من النقابات التي نشأت في العصور الوسطي إذ أن النقابات الأخيرة كانت تضم في معظمها أصحاب العمل.

وهكذا مع تقدم الآلة وازدياد رؤوس الأموال نتيجة النشاط التجاري المرتبط بالنهضة الصناعية أن أقيمت المصانع الكبرى التي أخذت تنمو وتجتذب إليها عدد كبير من العمال والأسر العاملة وترتب علي ذلك بناية مساكن للعمال وإنشاء مدارس لأبنائهم وكذلك المحلات التجارية.

وقد صاحب زيادة حركة المرور وإتخامها ارتفاع في كثافة السكان ومن ثم عن طريق مد الطرق الحديدية أمكن تفادي كثيراً من مشاكل ازدحام حركة المرور في نفس الوقت الذي بدأت فيه المجموعات السكانية تتناثر علي أطراف المدن. ورغم ذلك ظلت مشكلة النقل قائمة للزيادة السكانية ولزيادة النشاط التجاري ولذا فقد أدخل نظام القطارات المكهربة التي تسير تحت الأرض في بعض المدن الكبرى في غرب أوروبا والعالم الجديد. وقد تبع ذلك اختراع الطائرات التي سهلت الاتصال من مكان لآخر وذلك من حيث المدة الزمنية والمجهود الذي يبذل في الانتقال.

وفي خلال القرن ١٩م أيضاً تحسنت وسائل الصحة العامة ففي عام ١٩٢٠م أصبح نظام ضخ المياه معروفاً. كما تحسنت وسائل الصرف وتنظيف الشوارع بعد رصفها. نظراً لأن شوارع العصور الوسطي كانت مظلمة فقد استخدم في أضاءتها مصابيح الزيت ولكن عام ١٨١٢م بدأ استخدام الغاز الصناعي في الإضاءة في مدينة لندن رغم استخدامه في عام ١٨٤٠م، وفي عام ١٨٨٢م حلت الكهرباء محل الغاز في الإضاءة. وقد ساعدت الكهرباء علي إضاءة المناطق السكنية والطرق العامة بالإضاءة إلي أنها

كانت سر الدعاية الإعلانية لكثير من الشركات والبضائع في مدننا في الوقت الحاضر.

وقد ساعدت السكك الحديدية علي الربط بين مراكز إنتاج المادة الخام والمصنع ومدن الاستهلاك. وقد اضطرت السكك الحديدية من أجل تأدية هذه الوظيفة أن تخترق المدينة ومن ثم أصبح المصنع وملحقاته من خطوط حديدية بؤرة نشاط المدينة.

أما الموانئ التي تقع علي المحيطات أو البحار أو البحيرات أو الأنهار فقد كانت نوافذ لظهيرها الداخلي تصدر منتجاته وتستغل المواد الخام اللازمة لصناعته.وهكذا تعاونت السكك الحديدية والبواخر علي خدمة المصانع وأصبحت الواجهات المائية النواة الصناعية في المدن.

وقد ظهرت نتائج الثورة الصناعية أولاً في انجلترا إذ أدي الاقتصاد الصناعي الجديد علي ازدحام السكان الفقراء في الأحياء القديمة ومن ثم ظهرت الأحياء التي يطلق عليها الأوربيون اسم (Slums) وتكدست منازل العمال. وقد تبع ذلك إنشاء مدن العمال مثل مدينة (Bessbrcck) التي بنيت في عام ١٨٤٦م لعمال مصانع الكتان بالقرب من نيوري (Newry) بايرلندا ومدينة سالتين (Saltaine) التي أقيمت في عام ١٨٥٢م لتضم ٣٠٠٠ عامل من موظفي مصنع النسيج بالقرب من برادفورد بانجلترا والقري العديدة للعمال التي أقيمت في مصانع الحديد في أسن بألمانيا.

تصنيف المدن:

علي الرغم من أنه من أصعب الأمور لدي الباحث إيجاد تقسيم دقيق للمدن وذلك لأنه لا توجد مدينة في العالم تنفرد بوظيفة واحدة فقط لأن فكرة وجود المدينة مرتبط أساساً بتجميع الخدمات إلا أن المحاولات التي بذلت في هذا الصدد كانت كلها تهدف إلي إيجاد تقسيم يعتمد علي الوظيفة الأولي للمدينة وليست الوظيفة الواحدة ومن ثم يمكن أن تقسم المدن حسب وظائفها لما يأتي:

المدن الحربية:

تشمل مدن القلاع والموانى الحربية ومدن القلاع قليلة جداً في الوقت الحاضر وارتبط فكرة قيامها بفكرة الدفاع التي دفعت أصحابها لاختيار المواقع المحصنة لإنشاء المدن مثل منحني نهر أو قمة تل أو وراء مستنقع وهذه المدن التي انتشرت علي وجه الخصوص في عهد الاستعمار كانت معقلاً للأهالي يشرفون منها علي سكان الأقاليم المفتوحة وخير مثل علي ذلك النوع من المدن تلك التي أُقيمت في كندا التي ارتبطت بنهر سانت لورنس.

أبواب مدينة مراكش الحصينة

أما الموانى الحربية فهي مراكز أو قواعد للقوات البحرية ومن ثم فقد تختار مواقعها علي أسس إستراتيجية بمعني أنه لا بد أن يكون فيها مرفأ أمين صالح لرسو السفن ومن أمثلة الموانى الحربية ميناء شربورج وسوث هامبتون.

المدن التجارية:

وهي مدن تعتمد علي التبادل التجاري وتشمل الموانئ البحرية التي تعتبر نوافذ للدول التي تطل علي البحار وتستقبل عن طريقها التجارة وتصدر عن طريقها أيضاً بضائعها مثل مدينة الإسكندرية ، كما تشمل المدن التجارية أيضاً مدن التجارة البرية مثل مدينة تدمر بسوريا والتي ارتبطت بالبحار والمحيطات مثل مدينة ميلانو ولوس أنجلوس.

المدن الصناعية:

تشمل مدن المناجم مثل مدن الفحم في بريطانيا وفي شمال فرنسا ومدن البترول ، ومدن الصناعات التحويلية ومدن المصانع بطبيعة الحال.

مدن الترفيه والاستشفاء:

يدخل تحتها مدن الترفيه ومدن الاستشفاء ومدن الحدائق وأهم ما يميز هذه المدن هو أن السكان يتغيرون بسرعة بعد إقامة قصيرة في الغالب ومن أمثلة هذه المدن في مصر مدينة رأس البر وبلطيم ومرسي مطروح وحلوان سابقاً.

مدن العواصم:

هذه المدن تتصف في معظم الأحيان بأنها مركز ثقل سكاني بالنسبة للدولة ومكان لتركز الإدارة والنشاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي مثل مدينة القاهرة ولندن وباريس

مدن الجامعات:

مثل مدينة أكسفورد ومدينة كمبردج بانجلترا حيث تساهم الجامعة في الحياة العامة في المدينة بنصيب الأسد.

مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية

المدن الدينية:

هي المدن الروحية مثل مدينة القدس ومكة والمدينة والمدن الدينية تكتسب أهميتها من قداستها الدينية كمركز للحج أو لوجود ضريح لأحد رجال الدين أو لأمر مقدس.

نستخلص من هذا أن الفرق بين القرية والمدينة يعتمد علي مقاييس عديدة أبرزها أن القرية تعتمد في حياتها علي الزراعة وأن أنواع العمران البشري في الريف تتوزع بين القري المتكتلة والقري المنتشرة. أما المدن فمشكلة نشأتها ترتبط من الناحية التاريخية بمعرفة متي تحولت القرية إلي مدينة وإن كان من الثابت تاريخياً أن أول المدن ظهرت في منطقة الشرق الأوسط في غضون الألف الخامسة ق.م ومنذ ذلك التاريخ أخذت المحلات العمرانية تتطور مع تطور النظام الاقتصادي ومع حاجة المجتمع ومن ثم امتازت مدن العصور الوسطي بأنها محصنة بينما كان لتقديم وسائل الموصلات أثر واضح في نمو مدن القرن العشرين.

العمران الريفي (القري):

حينما تحرك إنسان العصر الحجري القديم من الكهف ليعيش في مأوي له شيده من أغصان الأشجار وأوراقها خطي الخطوة الأولي في سلم الحضارة.فإنسان العصر الحجري الحديث تمكن بعد ذلك من معرفة الزراعة واستئناس الحيوان ومعرفة الملكية الخاصة للمحصول والحيوانات الأمر الذي أدي في النهاية إلي الشعور بالحاجة إلي الحماية ، ومن ثم فقد تجمعت الأسر في مجموعات متآلفة وكونت القري التي تمتع سكانها الزراعيين بمزايا الاستفادة من الحماية الطبيعية ، وقد أقيمت القري في مواقع محمية طبيعية سواء في اليابس أو الجزر. وقد أدخلت القرية أشياء كثيرة في حياة الإنسان إذ علمته المسئولية وهمست في أذنه بأسرار التعاون فهناك مصالح مشتركة كما بين جميع الأهالي ومن ثم ظهر المجتمع ، كما ظهر التكوين السياسي لهم.

أنواع وأنماط العمران الريفي:

ينقسم العمران البشري في الريف إلي نوعين رئيسين وهما:

١- القري المتكتلة (المتجمعة):

تعد القرية المصرية خير مثل لهذا النوع إذ أنها تمثل هذا النمط خير تمثيل حيث تتصف بالتركيز والتجمع وفي نفس الوقت بالتعاون بن أهلها. وهذا النوع من القري ينشأ أساساً في الأودية النهرية الكبرى أو حيث تتوفر مواردها المياه من الينابيع والآبار أو في البقع الجافة وذلك في الأقاليم الرطبة التي تسقط فيها الأمطار طول العام وذلك في غرب أوروبا.

توجد القري المتكتلة في الهند والصين ، كما توجد في فرنسا وفلسطين والعراق ولبنان. ويراعي في اختيار مواقع القري في وديان الأنهار الكبيرة ألا يطغي عليها النهر في فصل الفيضان.

٢- القري المنتشرة:

تتباعد هذه القري عن بعضها علي النقيض من القري المتكتلة، وغالباً ما توجد في مناطق الاستقرار الحديثة في العالم الجديد ، كما توجد أيضاً في المناطق الجبلية حيث التضاريس الوعرة ومظاهر السطح معقدة. والقرية المنعزلة أو المنتشرة قد لا يزيد حجمها عن مزرعة واسعة تحتوي علي منزل للفلاح صاحب المزرعة وحظيرة ماشية.

وهناك عوامل طبيعية وبشرية تدفع السكان للعيش في قري منتشرة وأهم هذه العوامل:

١- قلة موارد المياه:

يظهر ذلك بوضوح في مدن فلسطين حيث تتبعثر القري وفقاً لوجود المياه الباطنية وحيث يزداد حجمها مع توفر كمية هذه المياه.

٢- كثرة المستنقعات:

كما هو الحال في بولندا حيث هناك رابطة مباشرة بين توزيع المستنقعات وتوزيع القري التي يرتبط وجودها بالتربة الخفيفة.

٣- كثافة الغطاء النباتي أو كثافة الغابات:

يبدو أثر هذا العامل في قري ويلز الصغيرة التي توجد علي المرتفعات التي تغطيها الغابات.

٤- أسلوب الاستغلال الاقتصادي:

حيث يلاحظ الارتباط بين ممارسة حرفة الرعي ووجود القري المنتشرة كما هو الحال في القارة الأوروبية.

وظائف القري:

علي الرغم من أن الزراعة وتربية الحيوان تمثل الأساس الاقتصادي لمعظم القري إلا أن هناك وظائف أخري قد تؤديها القرية إلي جانب

الزراعة ومن ثم فيمكن أن تقسم القري الثابتة تبعاً لهذه الوظائف إلي أربعة أنواع هي:

١- قري التسويق:

وهي تلك المحلات العمرانية الريفية التي يقام بها سوقاً أسبوعياً يقصده الفلاحون الذين يعيشون في القري المجاورة في أوقات دورية وهذه القري في أغلب الأحيان يوجد بها مدرسة إعدادية أو ثانوية إلي جانب نقطة بوليس وذلك بالنسبة للقري المصرية بينما بالنسبة لبعض الدول الأوربية قد يوجد بها قاعة للاحتفالات أو أي اجتماعات لذلك فيطلق عليها في بعض الأحيان اسم بلدة.

٢- قري المزارع الواسعة:

وهذه توجد في مناطق الإنتاج الاقتصادي الكبير في مزارع الولايات المتحدة وأستراليا وتتصف بأنها لا تزيد عن مجموعة من المنازل التي يسكنها العمال الذين يعملون لحسبا صاحب العمل في مزرعته.

٣- القري الإستراتيجية:

وهي القري التي تقام في نقط إستراتيجية محصنة تحصيناً قوياً مثل المدن التي تقام عند فتحات الوديان التي تشرف علي الطرق الجبلية.

المراجع

1- Alimen, H., The Prehistory of Africa, London, 1952.
2- Boyd, W.G., Genesties and the Races of Man, Boston, 1950.
3- Burkitt, N., Prehistory, Cambridge, 1936.
4- Childe, V.G., Social evolution, London, 1951.
5- Childe, V.G., What happened in history, London, 1941.
6- Gole, S., Races of Man, London, 1963.
7- Coen, C.S., The history of man, London, 1955.
8- Carr-Saunder. A.M., World population pnat growth and present taends. Oxford, 1916.

9- Fawcett. C., The position of some capital cities, Geography, Teacher, 1918, Vol.9, pp,233-249.
10- Ford. C.D., Habitat. Economy and Society, London, 1934.
11- Garnier. B., Geography of population, London, 1966.
12- Granier. B., Urban geography, London, 1967.
13- George. P., Introbution a l'etude geographique de la population du Monde, Paris, 1951.

الفصل السادس

الإنسان واستغلال الأرض

(أنماط مختلفة)

مقدمة:

يظهر لنا من دراسة توزيع الإنسان وانتشاره ومراكز توطنه بوضوح أنه ليس هناك قاعدة معينة يلتزم بها هذا التوزيع في كل مكان في العالم إذ أن السمة المميزة لخرائط توزيع السكان وكثافتهم علي السطح الأرض هي سمة عدم الانتظام والسبب في ذلك هو أن العوامل التي تؤثر في هذا التوزيع متعددة بعضها يتصل بالبيئة التي يستغلها الإنسان والبعض الآخر يرتبط بالمستوي الحضاري الذي وصل إليه الإنسان وطرق استغلال لهذه البيئة.

استطاع الإنسان في العصر الحديث أن يحقق انتصارات وانجازات حضارية كبيرة، فاستطاع أن يصل إلي القمر وهو في طريقه لدراسة كوكبي المريخ والمشتري كما استطاع أيضاً أن يتحكم في بعض عناصر بيئته بفضل مقدرته العلمية المتطورة، ولكن رغم ذلك فما زالت هناك جماعات بشرية قليلة العدد تعيش في مناطق ركنية من العالم في عزلة عن تيار الحضارة والحضرية.

تعتمد الجماعات الأولي علي جمع الغذاء أو رعي الحيوانات أو الزراعة المتنقلة كما كان يفعل أجدادنا القدماء الذين عاشوا في العصور الحجرية وهؤلاء يتناثرون في مناطق متفرقة من العالم في أعداد قليلة.

أما الجماعات الثانية تعيش في ظلال الحضارة الحديثة فتمارس حرف الزراعة المستقرة المتقدمة وحرفة الصناعة بأنواعها ذلك إلي جانب التجارة والتعدين والخدمات وغيرها من الحرف التي تربط بما يمكن أن نسميه باسم " التعقد الحضري " وذلك علي اعتبار أن مجتمعات الحضر تمثل قمة استغلال الإنسان للبيئة وتكون في وقتنا الحاضر الشطر الأعظم من سكان العالم، وسوف يتم دراسة المجتمعات البدائية بشئ من التفصيل.

المجتمعات البدائية:

تسير الجماعات البشرية بدرجة كبيرة في الوقت الحاضر ومع هذا الاتجاه أخذت الحضارات البسيطة أو البدائية (Primitive culture) في التلاشي والانقراض بينما تعرضت قليلة منها لتغييرات جذرية مست صلب تركيبها ووظيفتها وذلك لانتشار الحضارة الغربية واحتكاكها بها.

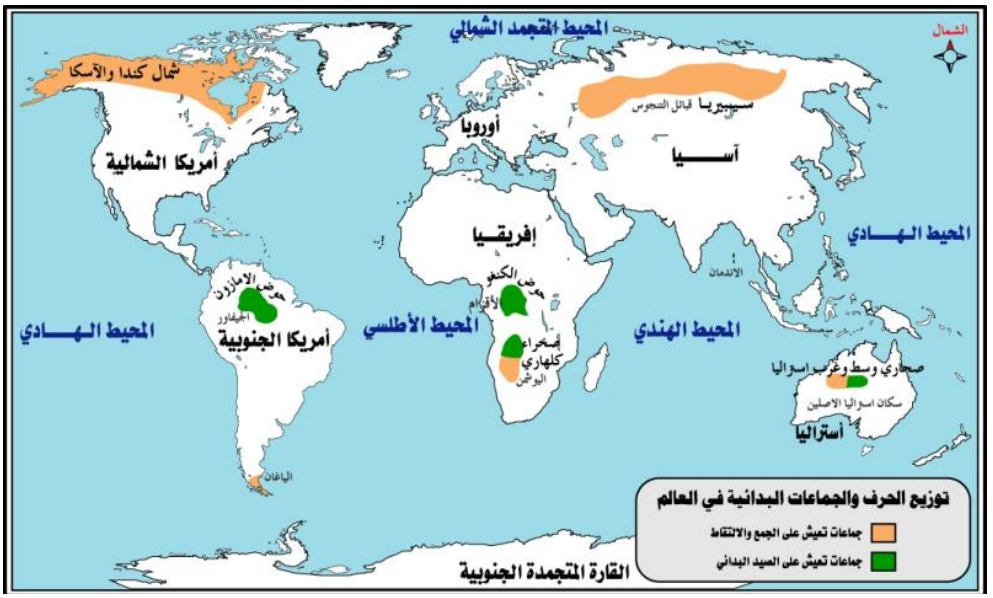

تعيش المجتمعات البدائية الموجودة في وقتنا الحاضر في شبه عزلة عن المناطق المجاورة وتعتمد في حياتها علي الجمع والالتقاط وصيد البر والبحر أو علي الرعي المتنقل أو الزراعة البدائية وهذه الجماعات تعيش في بيئات صعبة قاسية لا تلاءم الاستقرار البشري، كما أن احتكاك الرجل الأبيض بهم أدي إلي نقصان أعدادهم وأدي في بعض الأحيان إلي انقراضهم نتيجة لنشر بعض الأمراض الخبيثة والأوبئة بينهم.

تشترك الجماعات البدائية التي تحترف الصيد والجمع جميعاً في كونها جماعات مستنزفة لموارد البيئة القليلة؛ إذ أن حرفتي الجمع والصيد تشتركان في صفة الهدم كما أن الإنسان هنا أكثر ارتباطاً

واستجابة للطبيعة إذ يلجأ إليها ليسد كل متطلبات حياته الضرورية من مأكل وملبس ومأوي.

ويعيش جامعو الغذاء في مناطق منعزلة في نطاق الغابات الاستوائية في حوض الكنغو وحوض الأمازون في أمريكا الجنوبية وفي بعض جزر المحيط الهادي.

وقد كانت الجماعات التي تعيش علي الجمع والالتقاط أكثر انتشاراً في الماضي ولكن اضطرت أن تعيش الآن في مناطق صعوبة دائمة وذلك تحت ضغط الجماعات الأقوي منها ، وغالباً ما تتسم مناطق استقرارهم بأنها نهاية المطاف بالنسبة لحركة هذه الجماعات المستضعفة.

أهم الجماعات البدائية وأماكن تواجدهم

من أمثلة الجماعات المستضعفة الإسكيمو (سكان المناطق القطبية في أمريكا الشمالية) وجماعات الأونا في جزيرة تيرا دلفيجو في الطرف الجنوبي من أمريكا الجنوبية وجماعات اللاب والساموید في شمالي آسيا وتشتغل هذه الجماعات برعي الرنة أو الكاربيو.

ومن الجماعات الملتقطة للغذاء والصائد جماعات الفدا في سيلان وجماعات السكاي والسيمانج في جزيرة الملايو وجنوب تايلاند وجماعات الإندمان وبعض العناصر التي تسكن المناطق النائية بشبه القارة الهندية. وبيئة هذه الجماعات بيئة غابية كثيفة متخمة بالنباتات المتسلقة والأدغال ولا تساعد ظروفها الجغرافية علي الاشتغال بحرفة الرعي أو الزراعة غير أن وفرة الحيوانات والطيور والثمار في تلك المناطق قدمت إمكانيات العيش لهذه الجماعات وكفتها مشقة قطع الأشجار وإعداد الأرض للزراعة.

نماذج من الجماعات البدائية

سوف يتم تناول نموذجين بدائيين لبيئتين جغرافيتين مختلفتين هما:

جماعات الإسكيمو

هم نموذج للجماعات البدائية التي تعيش في العروض الباردة بشمالي أمريكا الشمالية"

من هم الاسكيمو؟

يكون الإسكيمو جماعة متميزة سلالياً ولغوياً وحضارياً في المنطقة القطبية التي تمتد من شرق جرينلند وعبر شمال كندا وألاسكا إلي سيبريا وينتمي الإسكيمو من الناحية الجنسية إلي المجموعة المغولية حيث يرتبطوا سلالياً بالهنود الأمريكيين رغم أن بعض صفاتهم الخاصة جعلت بعض الأنثروبولوجيين يفردون لها سلالة منفصلة عن الهنود الأمريكيين.

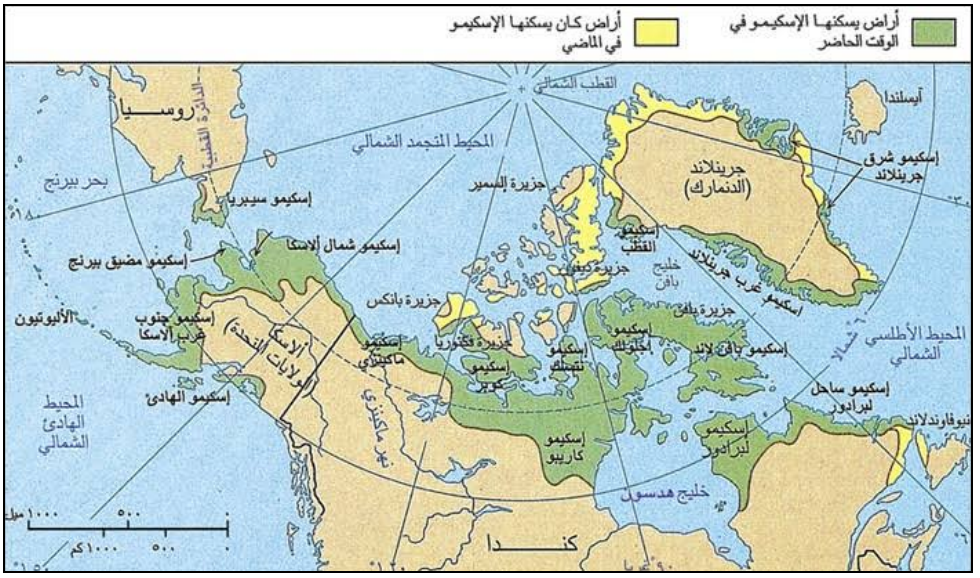

ويتميز الإسكيمو بصفة عامة بالقامة القصيرة إذ يتراوح متوسط طول الرجال بينهم ما بين خمس وست بوصات في حين يقل طول المرأة

عن ذلك. وتتصف وجوههم بأنها عريضة مفلطحة مع بروز عظام الوجنات وذلك إلي جانب ثنية العين المغولية والشعر الأسود الخشن ولون البشرة البني الفاتح وغيرها من الصفات التي تلتصق بالمجموعة المغولية.

وتنتمي جميع لهجات الإسكيمو التي تنتشر عبر ٣٠٠٠ ميل إلي أرومة لغوية واحدة غير أن اللهجات تختلف اختلافاً طفيفاً فيما بينها وعلي أي حال تكاد تكون لغة الإسكيمو منعزلة تماماً بحيث لم يحدث أي تسربات لغوية إليها، ويبدو أن توافق الطابع الجنسي واللغوي والحضاري لجماعات الإسكيمو يشير إلي أنهم قد تحركوا إلي موطنهم الحالي في فترة أحدث من تلك الفترة التي وصل فيها الهنود الأمريكيين إلي العالم الجديد.

البيئة الجغرافية للاسكيمو:

وحتي الآن لم يتمكن الأركولوجيون من تحديد بدقة المكان الذي وفد منه الإسكيمو أو الوقت الذي جاءوا فيه فأقدم المواقع الأثرية للإسكيمو في رأس دبنيف (Cape Denbigh) بألاسكا تشير علي أن عمر طلائع الإسكيمو يعود لأكثر من ٤٠٠٠ عام ، وهناك أحدث من ذلك توجد في جزيرة تول ويرجع تاريخها إلي ١٠٠٠م وتوجد علي السواحل القطبية في كندا وتبين الأدلة الأثرية أن هناك موجتين متتابعتين من الإسكيمو انتشرت صوب الشرق من ألاسكا إلي جرينلند وأن هذه الموجات ربما حملت كثيراً من الحضارة الآسيوية.

تأثير العروض القطبية يترك بصماته الواضحة علي طبيعة البيئة الجغرافية إذ تقع معظم محلات الإسكيمو بين خطي عرض ٦٠° -٧٠° شمالاً حيث يوجد اختلافاً جذرياً بين فصلي الصيف والشتاء. ففي فصل الشتاء لا يري بعض الإسكيمو الشمس لعدة أسابيع اللهم إلا علي هيئة وميض بسيط

من الضوء بينما في فصل الصيف فهؤلاء الذين يعيشون في المنطقة الممتدة عن خط عرض ٦٦.٥° شمالاً يمكنهم رؤية الشمس طوال النهار والليل ، وبطبيعة الحال تختلف درجة الحرارة كثيراً علي مدار السنة ففي فصل الشتاء الذي يستغرق حوالي ٩ شهور من السنة تنخفض درجة الحرارة دائما إلي مادون الصفر كما تتراوح في بعض الشهور ما بين ٣٠°ف و ٥٠° ولا ترتفع درجة الحرارة فوق درجة التجمد إلا في خلال شهرين أو ثلاثة فقط.

وبطبيعة الحال البيئة ليست متشابهة تماماً في كل المنطقة التي يقطنها الإسكيمو ولهذا السبب فقد نمت بعض الحضارات التي عكست هذه الاختلافات ، وإن كان الاختلاف يتوقف أساساً علي نوع الحيوان الذي يعتمد عليه الاقتصاد. فمصدر الإسكيمو المميز هو عجل البحر الذي يصطاد في فصل الشتاء وإن كان هناك بعض الجماعات الأقل تخصصاً في الصيد والتي لا تعتمد كثيراً في حياتها عليه.

وتوجد أنقي أشكال الصيد القطبي الذي يطلق عليه حضارة القطب الراقية (Highactctic Culture) بين إسكيمو القطب في شمال جرينلند حيث تعتمد الحياة كليةً علي مصادر البحر أما في المناطق التي تقع أكثر نحو الجنوب في جرينلند ولبرادور وجزر أوليشيان بالقرب من ألاسكا فتجد أن الحضارة الشبه قطبية (Subarctic culturs) لها ارتباط أكبر بالمياه المفتوحة حيث يزداد الاعتماد أكثر علي صيد الأسماك مستخدمين في ذلك القوارب مع اختلاف طفيف للحياة الشتوية لإسكيمو القطب.

بالإضافة إلي ذلك توجد مجموعات صغيرة مثل جماعات إسكيمو الكاريبو (Caribou Eskimo) التي هجرت تماماً البحر في سبيل الاعتماد في حياتها علي تتبع الصيد البحري وصيد الأسماك من الحفر الجليدية بنفس الطريقة التي يمارسها الهنود الأمريكيين في المناطق التي

تقع إلي الجنوب من مناطقهم أما الحضارة الأقل تخصصاً في وسط وسواحل كندا فلها نمط آخر حيث يعتمد علي الصيد في الثلج أبان الشتاء وذلك إلي جانب الاعتماد بدرجة كبيرة علي أنشطة الصيد البري في الفصول الأخري. وهذا النمط هو أكثر أنماط الإسكيمو انتشاراً بينما ما دون ذلك يمثل وجوهاً خاصاً داخل جماعات الإسكيمو.

وطريقة صيد الحيوان البحري التقليدية المعروفة هناك والتي تسمي باسم صيد ماوبوك (Maupck) والتي تعني انتظار الصائد إلي جانب فتحة تنفس الفريسة هي الطريقة السائدة فعجول البحر تأتي بانتظام علي هذه الثقوب التي كونتها منذ بداية الجليد في الظهور

وتقدم الثدييات البحرية إلي الإسكيمو بالإضافة علي الطعام الشحوم التي تحرق بدون دخان وتعطي حرارة تبعث الدفء والضوء خلال شهور ولولا هذه الشحوم لكانت حياة الإسكيمو صعبة للغاية حيث لا توجد أخشاب تحرق في المناطق القطبية كما أن دهون الحيوانات الأخري ليست مثل دهون الثدييات البحرية. ولا يستخدم جلد عجل البحر (Seals) دائماً في صناعة الملابس إذ أن فروة حيوان الكاريبو تعطي أكثر دفئاً كما أنها أخف وأسلسل في الصنع وتأكل كل أجزاء جسم عجل البحر بدون طهي ولا يعرف كيف أن الإسكيمو لا يدركوا مدي أهمية هذه اللحوم النية للصحة وإن كان من المؤكد أنهم يعانوا العديد من النقص الغذائي إذا لم يتناولوا هذه اللحوم غير المطهية حيث لا يوجد خضروات ظارجة أو فاكهة وذلك لمدة تتراوح ما بين تسعة وعشرة شهور في السنة.

وتبدأ ثلوج البحر في التشقق والانكسار حينما يصبح النهار أطول مكونة قنوات تجري فيها تيارات قوية ومن ثم تبدأ الأسر التي كانت تعيش في المحلة الشتوية تتحرك وتنتشر لتدخل في معسكرات لصيد الربيع حيث تبدأ الثدييات البحرية مع صغارها في الظهور علي الثلوج

وتقدم صيداً سهلاً للعائدين المهرة الذين يمكنهم الزحف ورائهم والإمساك بهم ومع تحسن الطقس بزيادة الدفء يجوب الصيادون أطراف المياه المفتوحة وذلك للصيد حيث يصطادوا في بعض الأحيان الحيتان.

كذلك يصبح الصيد البري في هذه الفترة هاماً ولاسيما الثور الموسكي الذي انقرض للتوسع في صيده ومن عادة هذه الحيوانات تكوين دائرة للحماية حيث يقف الذكور في المقدمة والإناث والصغار في الداخل. ولذا فيسهل علي الصيادين قتل أعداد كبيرة منهم بسهولة وتجمع كميات كبيرة من اللحوم والشحوم في هذا الفصل الوفير وتخزن في أكوام مرتفعة بالحجارة وذلك لحفظها من التهام الحيوانات.

وفي فصل الصيف أو كما يطلق عليه فصل السعادة تجذب نباتات التندرا أعداد كبيرة من قطعان الكاربيو صوب الشمال ومن ثم تقام معسكرات الصيف علي رؤوس الأودية الداخلية.

والأسماك وفيرة في فصل الصيف علي طول ساحل كندا ولاسيما سمك السالمون و الذي يبدأ هجرة الفصلية مع بداية الصيف إلي أعالي الأنهار. ففي هذه الفترة تتحرك جماعات السالمون في أعداد هائلة كثيفة لدرجة أنه يمكن اصطياد كمية كبيرة منه في الرمية الواحدة ويستخدم السنار المعقوف والمستقيم ذوي السنون العاجية في الصيد في المياه العميقة كما يستخدم الشباك والسدود في بعض المناطق الأقل عمقاً.

ويقل نشاط الصيد في الفترة الممتدة من أواخر الصيف وحتي الشتاء إذ يترك الكاريبو الإقليم كما أن الثلوج لم تأخذ بعد صفتها الدائمة التي تتواجد عليها في الشتاء ويوجد دائماً وفرة في الطعام المخزون الأمر الذي يوضح كيفية عدم الاستمرار في كمواقع المعسكرات والمحلات العمرانية التي ظهرت في الفصل السابق وتستطيع الأسر المختلفة أن تعود إلي نفس المكان مرة أخري حين يأتي موسم الاصطياد. وتشغل بعض الجماعات الكندية منازل حجرية دائمة في وقت

الصيد مما يساعد علي استخدمها لعدة أجيال بل قد تستخدم بصفة دائمة إذ كان من السهل الخروج منها إلي مناطق صيد الشتاء وبعضها يبقي مسكوناً حتي بداية الربيع.

وسائل نقل الاسكيمو

لجأ الإسكيمو إلي ملائمة حياتهم بهذه الصورة في بيئة تنقصها مواد الخام الرئيسية ولاسيما الأخشاب التي تخدم أغراض تكنولوجية عديدة في بقية أنحاء العالم فالأحجار والعظام والعاج وجلود الحيوانات وكذلك الثلوج والجليد قد تحل محل الأخشاب. فقد تستخدم العظام والعاج والقرون في عمل الزحافات إذ تصنع الزحافة التقليدية لإسكيمو الوسط عن طريق تجميع عظام فك الحوت وحقيقة أنه يصنعون الزحافة من قطع متعددة وليس قطعة واحدة لأن لها ميزة عملية هامة وهي أن الزحافة المصنوعة من قطعة واحدة قد تكون أقل ثباتاً أثناء انزلاقها علي الجليد من تلك المصنوعة من قطع متعددة.

ويعد كلب الزحافة من أشهر عناصر حضارة الإسكيمو إذ أن هذا الكلب الضخم القوي القلب هو الحيوان الوحيد الذي يربي في جميع بقاع الإسكيمو حيث يستخدم عدد من الكلاب التي يقود بها كلب متقدم ببضعة أقدام عن الأخري في جر الزحافة وتكون كلاب كل زحافة مجموعة متآلفة يقودها أقوي المجموعة ويشجعها حيث يعرف كل كلب موقعه في عجلة الجر عن طريق التعود. ويصل عدد كل مجموعة خمسة أو ستة كلاب ولكن في أغلب الأحيان يقل العدد عن ذلك إذ أن الكلاب العاملة تستهلك كميات كبيرة من الأسماك والثدييات الأمر الذي يجعل اقتنائها بأعداد كبيرة امراً مكلفاً ولاسيما أبان فصل الشتاء الطويل.

ويعتبر قارب **الكاياك** وسيلة مهمة للصيد لإسكيمو الساحل في فصل الصيف وهذا القارب الذي لا يزيد حجمه عن قوارب " الكانو الصغير " يعتبر من أفضل القوارب البحرية الصغيرة التي اخترعت فقد صنع إطاره

أو هيكله من عظام الحيتان ويبطن كله بالجلود ولم يترك فتحة سوي تلك التي يجلس فها النوتي وما أن يجلس بها وهو مرتدي جاكت من الجلد ويثبت في القارب حتي يصبح منه.

أما عن **الأومياك** (Umiak) قارب المرأة فهو أكبر حجماً من الكاياك كما أن سطحه مفتوحة وذلك عن النقيض من قارب الرجال ويستخدم عادة كوسيلة في الانتقال أكثر من استخدامه في الصيد.

منازل الاسكيمو

علي الرغم من أن منزل الإسكيمو بسيط إلا أن فحصه يشير إلي دقة في التركيب فمنزل الثلج المؤقت الذي يطلق عليه اسم أيجلو (Igloo) معروف جيداً لكثير من الدارسين غير انه ليس من السهل تشييده كما يتصور البعض فكتل الثلوج الضخمة تقطع من جروف ثلجية متماسكة بواسطة سكاكين طويلة عظمية ثم ترص علي شكل قبة. ويستطيع الإسكيمو قطع الكتل الثلجية بسرعة فائقة وبأحجام دقيقة تلاءم الأماكن المطلوب وضعها فيه بدقة.

ومدخل المنزل عبارة عن نفق صغيرة يمكن الدخول إليه عن طريق الزحف وذلك لكي يمنع البرودة وهذا النفق طويل في العادة لنفس السبب السابق وترتفع أرضية الحجرة الرئيسية غالباً قدم أو اثنين عن مستوي الممر وذلك أيضاً من أجل الابتعاد عن تيارات الهواء البادرة.

وتغطي في بعض الأحيان جدران الحائط والأسقف بجلود عجل البحر وذلك عن طريق تثبيتها بأحبال تخترق الحوائط وفي هذه الحالة تخلق طبقة عازلة من الهواء حيث يستطيع الأهالي أن يرفعوا درجة حرارة المنزل عن طريق المواقد لدرجة معتدلة دون أن تؤدي إلي إذابة الحوائط الداخلية كثيراً.

والمنازل الدائمة التي تشيد علي الساحل لها ممر كالمنازل السابقة ولكنها تختلف عنها في أنها تنحت في الأرض لعمق قدم أكثر ،

وأن حوائطها تبني من الحجارة التي تقع علي سطح الأرض ما بين خمسة وستة أقدام ، كما تستخدم عظام الحوت ولاسيما الضلوع كدعائم للمنزل ويراعي وضع العظام المقوسة في واجهة المنزل وذلك لسهولة عمل النوافذ كما يغطي السقف بالجلود مع العلم بأن الثلوج الساقطة في فصل الصيف تكون طبقة عازلة فوق المنزل ، أما الأرض والحوائط والأسقف وكذلك رصيف المعيشة أو مكان المعيشة فتغطي جميعها بجلود عجل البحر أو عظام الحيوانات الأخري فتستخدم كشاجب في الحائط أو تستخدم في أغراض أخري كعمل السنانير والفخوخ.

ملابس الاسكيمو

ملابس الإسكيمو ملائمة تماماً للأحوال القطبية فهي محاكة بإتقان ومصنوعة بدرجة أنه من الصعب إدخال أي تحسينات عليها. فكل الملابس مصنوعة من جلود الحيوانات فيما عدا رداء المطر الواقي المصنوع من الجوت (Gut) ويجهز الجلد أولاً عن طريق تخليصه من الدهون الموجودة به من الداخل بواسطة سكين ثم يشد بعد ذلك علي عظمتين ليجف وبعد ذلك تقمن النساء بمضغ الأجزاء الداخلية لتخليصها من الدهون المتبقية ولتلينها ويجفف بعد ذلك للمرة الثانية حيث تستخدم مقاشط وسكاكين من العظام لتلينه أكثر والجلود المصنوعة بهذه الطريقة يمكنها المحافظة علي درجة الحرارة.

صناعة الأدوات عند الاسكيمو

وتتسم صناعة الإسكيمو بالتنوع الكبير في أسلحة الصيد فهناك أنواع عديدة من المقاشط والسكاكين والمخارز وأنواع أخري من الأسلحة المدببة التي صنعت عن طريق شطف الحجارة وحكمها. وقد عرف الإسكيمو في بعض الأماكن القليلة المتفرقة كيفية طرق النحاس لتشكل بعض السكاكين كما استخدموا الحديد في صناعة بعض المقاشط

والسكاكين في شمال غرب جرينلند وأسلحة الصيد التقليدية هي الفؤوس والسهام. وتصنع الفؤوس في العادة من ثلاث قطع من العظام التي تربط سوياً بواسطة حبال مطاطة. ويعتبر الرمح بأنواعه المختلفة أهم أنواع أسلحة الاسكيمو الوطنية.

أكل الاسكيمو

ويؤكل معظم طعام الاسكيمو نيئًا ومن ثم ففنون الطهي غير متقدمة لديهم إذ ينظر إلي الطعام ببساطة علي أنه مجرد تموين الجسم بالوقود. ويستطيع رجل الاسكيمو أن يأكل كمية كبيرة من اللحوم في الوجبة الوحدة حيث يضع في فمه قطعة طويلة من لحم ويقوم بتقطيعها بالسكين بالقرب من شفتيه. وقد تهدد المجاعة الاسكيمو باستمرار في بعض أوقات السنة حتي أن جلود الأحذية قد تمضغ في بعض الأحيان وذلك في حالة غيبة الطعام.

السلوك الاجتماعي للاسكيمو

قد يقوم الإسكيمو بقتل المسنين أو الأشخاص العاجزين. وهذه العادة علي أي حال ليس خطيرة لأنها تحدث في أوقات المجاعة وذلك لأسباب واضحة جداً، وفي بعض الحالات الأخري ككبار السن والمرضي ربما يتركوا للموت وهذا أيضاً بناءً علي طلبهم. وكثيراً ما تأخذ روح التضحية الذاتية من أجل الأسرة أو القرية شكلاً جماعياً. وعلي الرغم من أن الإسكيمو يتسموا بالإحساس الرقيق إلا أن عليهم أن يواجهوا عملية القتل القاسية كما يواجهوا أي حقيقة أخري تقابلهم في حياتهم.

اتصال الاسكيمو بالعالم الخارجي

تعرض الإسكيمو منذ اتصالهم بالرجل الأبيض لكثير من المتاعب التي يعرفها البدائيون فمثلاً تعرضوا لأمراض الأوروبيين مثل البرد العادي والسل والأنفلونزا والحصبة والجدري وغيرها من الأمراض التي ابتلي بها

الشعب. وكان أول من تعرض لهذه الأمور وبشكل واضح إسكيمو ألاسكا ذلك لأن التطور الاقتصادي وتغلغل الرجل الأبيض منذ الفترة التي اندفع فيها للبحث عن الذهب مبتعداً عن المناطق الكندية أدي إلي تأثر جميع الإسكيمو بهذه الأمراض وأصبح الجميع يشكون من اضطرابات في التغذية مثل سقوط الأسنان والاضطرابات الجلدية والمعدية والمعوية.

وأصبحت البندقية الحديثة أمراً عادياً وإن كل ما ترتب علي استخدامها وصل إلي درجة الخطورة فقد أوشكت قطعان الكاربيو والثيران الموسكية علي الانقراض فلم تعد مصدراً يعتمد عليه كغذاء صيفي.

ولكي يحصل الإسكيمو علي الحيوانات من أجل الطعام وبذلك أصبح اقتصادهم اقتصاداً نقدياً حتي يستطيع أن يشتري ما يحتاج إليه من طعام. ويتميز الإسكيمو بصفة الصداقة الحقة فهم شعب منفتح كثير الثقة بالآخرين. وفي ألاسكا بالرغم من الاستغلال الذي يتعرضون له عاماً بعد عام فإنهم عن طريق الهيئات الحكومية والمدارس يمكن أن يكونوا علي اتصال بالعالم دون أن يؤدي ذلك إلي القضاء عليهم. وفي المناطق القطبية الوسطي لم يتعرض الكثير منهم إلي تأثير المدينة الحديثة تأثراً كاملاً ولكن أغلب الظن أن ذلك سوف يحدث في القريب العاجل.

قبائل النوير

قبائل النوير نموذج للقبائل الرعوية في المناطق الحارة في قلب القارة الأفريقية

البيئة الجغرافية للنوير:

تقطن قبائل النوير نطاق الحشائش المدارية الذي تشغل المنطقة الممتدة علي التخوم الجنوبية للنطاق الصحراوي وصوب الجنوب إلي شرق أفريقيا ، والنوير جماعات طويلة القامة ذوي سيقان طويلة ورؤوس ضيقة إذ يمثلوا نتاج سلالي متنوع بين سلالة البحر المتوسط وزنوج غابات أفريقيا. ويتحدث النوير لغات متقاربة وضعها الباحثون حديثاً كلها تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية. وقبائل ترعي الماشية وتتمثل خير تمثيل في الجزء الشمالي من شرق أفريقيا غير أن اختلاطهم بجماعات البانتو الزراعيين يظهر بوضوح كلما اتجهنا جنوباً إلي أوغندا.

ومن الجماعات الرعوية النقية الماساي في جنوب كينيا وشمالي تنزانيا وهم جماعات معروفة جيداً علي الرغم من أنهم ليس أفضل النماذج النويرية إذ أن الجماعات التي توجد في الشمال تعتبر أكثر تمثيلاً لمجموعات القبائل السودانية الرعوية المنتشرة في المنطقة علي نطاق واسع.

والمنطقة التي يقطنها النوير في وسط وجنوب السودان عبارة عن منطقة واسعة من الحشائش يخترقها المجري الأعلي من نهر النيل بروافده المتعددة ، وهي ذات مناخ مداري حيث تنقسم السنة بالتساوي بين فصل شديد الجفاف وآخر غزير المطر.

ويبدو أن هذه المنطقة تشهد من وجهة نظر الزراعة الحديثة أو رعي الحيوان فترات تزيد فيها المياه عن الحاجة وأخري تقل فيها لدرجة واضحة. ولذا توجد أنواع متعددة من الحشرات في المنطقة. ففي فصل

الأمطار يوجد البعوض بكثافة غير عادية لدرجة تحول دون عمل الإنسان والحيوان اللهم إلا إذا احرق ناراً يصدر منها دخاناً كثيراً. أما في فصل الجفاف فيهاجم الذباب بأنواعه المتعددة الحياة الحيوانية.

ويبلغ عدد النوير حوالي ٣٠٠ ألف شخص غير أنه لا يربطهم جميعاً أي وحدة سياسية فلا يشار إلي النوير كشعب أو مملكة بل عبارة عن مجموعة من القبائل المتشابه حضارياً ولغوياً والتي تجعلها تشعر بدرجات متفاوتة أنهم يكونون مجموعة مختلفة عن جيرانهم وجماعات الدنكا التي ظلت لفترة طويلة من أشد أعداء النوير أكثر قرابةً لهم من الجماعات الأخري المحيطة بهم ومن المحتمل أن ينتمي النوير والدنكا إلي أصل حضاري ولغوي واحد.

ومن جيرانهم الآخرين القبائل المتعددة المتحدثة بلغة الشلوك مثل الجالا في أثيوبيا والأنواك (Anuk) والبوير (Boir) أما إلي الشمال فيوجد العرب الرعاة الذي اتصل بهم النوير في بعض الأحيان وبصفة عامة نجد أن طبيعة وصفات اختلاط النوير بجيرانهم كانت واضحة.

وجماعات النوير جماعات رعوية أساساً علي الرغم من أنهم مثل أي مجموعة رعوية أخري في العالم ، يقوموا بزراعة بعض المحاصيل القليلة حينما يدفعهم الفقر إلي ذلك بغض النظر عن فقر التربة وعدم ملائمة المناخ لذلك.

وتعتبر الماشية من أهم ممتلكات النوير التي لا يعادلوا أهمية امتلاكها بأي شئ آخر فقد ذكر أحد الباحثين وهو البروفسير إيفانس بويتشارد (Evars Pritchard) في كتابه عن النوير الذي صدر في أكسفورد عام ١٩٤٠م أن " النوير لا يتحدثوا عن شيء سوي حيواناتهم وأنه وصل لدرجة اليأس أحياناً أنه فشل أن يجد في حديثه مع الرجال

سوي الحيوانات والنساء بل أن الحديث عن النساء كان يقوده دائماً إلي الحديث عن الموضوع الأول ".

ويعتبر اللبن غذاء النوير الأساسي علي مدار السنة، فقد يشرب طازجاً يخلط بالذرة لعمل العصيدة كما يملح لعمل أطباق خاصة من الطعام ذلك إلي جانب صناعة الزبدة.

وأهم الغلات التي يزرعها النوير السوريجام وبعض الذرة ويعتبر السوريجام أهم الأطعمة لدي النوير بعد اللبن فيصنع منه

العصيدة والبيرة التي تعتق أسبوعياً ويؤكل قليلاً من الذرة حيث لا ينمو جيداً مثل السوريجام في ظل الظروف المناخية الرطبة أما الماعز والأغنام فتنتشر بين قطعان الماشية غير أنها لا تعتبر مصدراً هاماً للاقتصاد لديهم ويمثل صيد السمك مصدراً آخر هام لطعام النوير ومع نهاية الفصل الجاف وبدأ موسم فيضان الأنهار وتكوين المستنقعات يسهل عليهم الصيد الذي يتواجد في البرك المنتشرة في أراضيهم.

وموطن النوير غني بحيوان الصيد غير أن النوير لا يقبل علي الصيد بكثرة، فتوجد هناك عديد من أنواع الجاموس والفيلة إلي جانب

وفرة من التماسيح غير أن النوير يشعر أن الفقير الذي ليس لديه قطيع من الماشية هو الذي يتجه للصيد من أجل الطعام وقد يضطر النوير لصيد الفهود والنمور في فصل الجفاف حين تهدد تلك الحيوانات مصدر قطعانهم أي أن الصيد في هذه الحالة من أجل حماية أنفسهم ، ويعتمدوا في ذلك علي الكلاب والرمح ولا يربي النوير الطيور كما يعتبرون أن كثرة أكل الطيور البرية وبيضها أمراً غير مقبول.

ولا توجد حقوق ملكية دائمة للأرض عند النوير. فاختيار موضع القرية يحكمها فكرة أن الأرض مشاعة للجميع وأن الملكية الوحيدة المتمسك بها ملكية قطعان الماشية وهذه الملكية ملكية أسرية أكثر منها فردية ولذا فبعض العائلات أغني في قطعانها من البعض الآخر.

وتتمثل الوحد الاقتصادية الصغري عند النوير في المنزل أو النزلة (Iane stead) حيث يكون من كوخ أو مجموعة صغيرة من الأكواخ وحظيرة للماشية بنيت جمعيها من البوص وطين اللبن وقد تضم النزلة أسرة بيولوجية واحدة أو ربما تشتمل علي أسرة ممتدة ترتكز علي الآباء وعدد من الأبناء مع عائلاتهم ، أما في فصل الجفاف فالمعسكرات المؤقتة تشيد من حصر بسيطة لتكون مجموعة من الأكواخ علي هيئة خلية من النحل يعيش بها مجموعات من العائلات المتقاربة.

النظام الاجتماعي للنوير:

يربط جميع أفراد القرية أو المعسكر صلة القرابة وهي نفس الرابطة التي تربط كل الأفراد والجماعات التي تصاحب النوير ، فلا يوجد أي شكل آخر للصداقة أما الشخص قريب أو عدو ، وهكذا يستطيع النوير أن يضع أي شخص له احتكاك به في وضعه الصحيح. ومصطلحات القرابة لدي النوير متعددة ومنها ما يطلق علي أفراد المعاشرين للأسرة ذلك إلي جانب الأقارب من نفس العمر أو هؤلاء الذين تربطهم صلات معينة بالأفراد المباشرين للأسرة.

تنقسم جماعات النوير إلي ثمان أو تسع قبائل كبري يصل عدد أفراد كل منها إلي خمسة آلاف شخص وإن كان هناك جماعات أصغر عدداً كثيراً من هذا العدد وتمثل القبيلة أكبر وحدة من السكان الذين قطنوا منطقة معينة ويشعروا سوياً بالانتماء.

لا توجد حكومة بين قبائل النوير ومن ثم يعرفوا كشعب أو كأمة في إطار اشتراكهم في لغة وحضارة وحدود واحدة ، أي أن التعريف السياسي غير وارد في هذا الصدد.

تتكون كل قبيلة من قبائل النوير من عدد العشائر ولكن يوجب دائماً بينهم عشيرة تشعر أنها أعرفهم وأكثرهم تميزاً وهي في بعض الأحيان وليست دائماً أكبر العشائر. وعلي الرغم من أن لكل عشيرة عدد من أفرادها في كل قرية إلا أن هناك عشيرة بعينها تشعر أنها هي الأهم في كل قرية ، وأخري في كل ناحية وهلم جراً ومن ثم فهناك من الأشخاص من يستطيع التحدث باسم العشيرة السائدة في كل ناحية كما هناك من يمكنه التحدث باسم القبيلة ككل. وفي ضوء هذا الواقع نجد بعض الاختلافات الاجتماعية بين الأسر في كل المناطق حيث ترتب هذه الاختلافات بالمركز أكثر من السادة أو الامتياز فلا يوجد هناك طبقات اقتصادية تعتمد علي ثراء اقتصادي مورث أو اختلاف في مستوي المعيشة.

ولا يوجد بين قبائل النوير حكومة بمعني الكلمة أو سلطة منظمة أو أي قانون. إنما يوجد فقط بعض الرجال المؤثرين الذين لديهم نوعاً من السلطة تعتمد علي مقدرتهم علي القيادة أكثر من اعتمادها علي المركز أو الوظيفة الموروثة وفي العادة يأتي القائد من العشيرة البارزة.ويحرص النوير علي إظهار الخضوع الحقيقي لكبار السن ولكن فيما عدا ذلك فلا يوجد أي نظام للسيادة أو الخضوع.

ويقيم النوير في بعض الأحيان أهرامات مختلفة الأحجام وذلك تكريماً لروح إله معين، وقد يصل ارتفاع هذه الأهرامات إلي ٥٠ قدماً

ومحيطها إلي ٣٠٠ قدم. وتبني الأهرام من طوب اللبن والرماد ويحاط بأنياب الفيلة ، وربما وصلت إليهم فكرة إقامة الأهرام عن طريق مصر الفرعونية ولكن أهرامات النوير علي النقيض من الأهرامات المصرية لم تستخدم كمقابر ولم يجند في بنائها العمال.

والتوقيت الزمني لدي النوير محدد بمدي قصير جداً أي بمعني أنهم مثل معظم القبائل البدائية لا يعرفون الوقت (Timeless people) فينظر إلي السنة علي كونها مجرد مصطلحات بسلسلة من الأحداث نشأت من فصلين متميزين وقد تستخدم الأقمار والتي تحدد بالدورة القمرية شهرياً في بعض الأحيان لمعرفة الوقت وعدد الأيام وأي جزء من اليوم وليكن يعرف الوقت أساساً لدي النوير بالإشارة إلي الأنشطة فليس لدي النوير مصطلح يعني كلمة وقت كما هو معروف في العالم المتحضر.

اتصال النوير بالعالم الخارجي:

لم يتمخض اتصال النوير بالعالم الخارجي عن تغير أساسي في حضارتهم وربما التغير الجذري الذي طرأ علي حياتهم كان من جراء القضاء علي عشر قطعان الماشية في خلال القرن العشرين نتيجة لطاعون الماشية الذي انتشر بين الحيوانات بما فيها الأغنام والماعز ففي الماضي كانت ثروة العرس تتراوح ما بين ٤٠ ، ٦٠ رأساً أما اليوم فيقدم للعروس نصف هذا العدد أو أقل. وقد دفع نقص الماشية النوير إلي زراعة الذرة بدرجة أوسع من زراعة من قبل وذلك لكي يعوضوا النقص والخسارة في مورد معيشتهم وربما أدي التوسع في زراعة هذا المحصول إلي زيادة ارتباط النوير بقراهم أكثر والإقلال من ترحالهم عن ذي قبل.

وتضاؤل قطعان الماشية لدي النوير ربما يفسر علي الأقل سلوكهم الغذائي فقد تعرض رعاة الدنكا لغارات شنها جيرانهم النوير عليهم بينما قبائل أخري مثل قبائل الشلوك لم تتعرض لغزوهم وحجة

النوير في ذلك هي أنهم لا يغيروا علي قبائل لا تمتلك قطعاناً وأن الشلوك لو كان لديهم ماشية لشنوا الغارات عليهم للاستيلاء علي ما يملكون.

ومما هو جدير بالذكر أن تجار الرقيق والعاج الذين اخضعوا فيما مضي معظم القبائل السودانية كان تأثيرهم ضعيفاً علي النوير فالحكومة المصرية وكذلك حكومة المهدي التي حاولت أن تحكم السودان في الفترة ما بين عام ١٨٢١م ونهاية القرن الماضي لم تتمكن من بسط سيطرتها علي النوير وكذلك كان الحال بالنسبة إلي أية سلطة إلي أن تمكن الحكم المصري السوداني من تأسيس نظام إداري في أرض النوير في عام ١٩٢٨م وكان هدف هذا النظام الإداري عدم التدخل في حياة النوير اليومية ومحاولة الإقلال من غزواتهم علي جيرانهم.

والخلاصة أن جماعات النوير تكون مع الدنكا والشلوك المجموعة الشمالية من الجماعات النيلية التي تقطن المنطقة الممتدة من جنوب الخرطوم حول النيل الأبيض وفي مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتي بحيرة كيوجا. ويسكن النوير منطقة المستنقعات من الحوض الأدني البحر الجبل والزراف حيث تمتد منطقتهم إلي بحيرة نو وينتشرون شرقاً حتي نهر السوباط وتقدر مساحة أراضيهم بحوالي ٢٦ ألف ميل٢. وينقسم النوير إلي مجموعتين أحدهما تعيش غربي بحر الجبل والأخري في شرقه.

ويطلق علي المجموعة الأخيرة اسم نوير الأحراش (Bush Nuer) ويعتمد النوير في حياتهم علي المطر في فصل سقوطه ولكنهم يضطرون لحفر الآبار في فصل الجفاف وخاصة في الأودية النهرية الصغيرة الجافة ويزرعون الذرة الرفيعة والشامية إلي جانب رعي الماشية وصيد الأسماك والحيوانات وفرس النهر.

ويمتاز النوير بالرأس الطويلة والقامة الطويلة جداً إذ يصل طول القامة بينهم إلي ١٨٥سم وطول القامة مصحوب دائماً بطول الساقين وضمورهما بصفة خاصة ويظهرون دائماً في وقفتهم التقليدية علي رجل واحدة مرتكزين علي حربة.

المراجع :

1- Barton, R.F., The Kalingas: Their institution and Csustoms law, Chicago, 1949.
2- Keesing, F.M., Taming philippine Headhunters, Stanford, 1934.
3- Kroeber, A.L., People of the philippines, Newyork, 1958.
4- Worester, D.C., headhunters of northern Luzon, National geographic Magazine, Vol, 23, No. 9, 1912.
5- Gann, T.W.F., Maya cities, A record of exploration and adventure in Middle america, London, 1927.
6- Gann, T.W.F., History of Mayas, New York, 1931.
7- Hay, C.L., The Maya and their Neighbors, New York, 1940.
8- Stephens, J.L., incidents of Travel in central america, chiapas and Yucatan, New York, 1841.
9- Thompson, J.E., The rise and fall of my a civilization, Normon, Okla, 1954.
10- Bennett, W.C., The archeology of the central andes, in J.H., Steward handbook of South american landibus, Washington, 1946.
11- Bennett, W.C., andean culture history, american Muesum of natural history, Handbook No. 5. New York, 1949.
12- James, P.E., Latin america, New York, 1942.
13- Means, P.A., ancient civilization of Andes, N.Y, 1931.

الفصل السابع

المجتمعات الزراعية

تقوم المجتمعات الزراعية في كثير من مناطق العالم، وتشترك جميعها بغض النظر علي طريقة الزراعة المتبعة بها ونوعها في كونها جماعات مرتبطة بفلاحة الأرض واستغلال مورد ماء والعيش في محلات عمرانية لها صفة الدوام والاستقرار وإن اختلفت في تركيبها ونظام تخطيطها وشكلها العام.

ولا نعرف علي وجه الدقة متي قامت المجتمعات الزراعية ولكن من المؤكد أن أولي الجماعات التي عرفت الاستقرار الزراعي ظهرت في مصر والعراق وذلك في غضون الأف الخامسة ق. م كذلك تمتعت أودية الهند الكبرى بمميزات الاستقرار الجديد المرتبطة بأمتن مورد غذائي وأكثر انتظاماً وأوفر من المورد الذي كفلته الجمع والالتقاط والصيد.

وكما انتشرت الزراعة من جنوب غربي آسيا ومصر إلي قارة أوراسيا ، ويبدو أن الساحل الشرقي للبحر المتوسط ولاسيما عن طريق سوريا وفينيقيا كان من أهم الطرق التي اتبعت في انتشار حضارة الزراعة صوب الغرب ، وربما بدأ هذا الانتشار من جنوب غرب آسيا قبل بداية الألف الرابعة ق.م حيث استغرق ما يقرب من ألف عام في الوصول إلي فرنسا وأسبانيا.

وكما انتشرت حضارة الزراعة عن طريق جنوب غرب آسيا إلي أوروبا انتشرت أيضاً عن طريق شمالي أفريقيا إلي الساحل الغربي لأوروبا والجزر البريطانية كما تكمن بعض المزراعين في جنوب شرق أوروبا من حمل الحضارة الزراعية إلي بولندا والدانمارك والسويد في نفس الوقت الذي وصل فيه المزارعون الأوائل إلي بريطانيا.

وقد انتشرت الزراعة بعد ذلك إلي أطراف غابات أوراسيا الواسعة وذلك بعد تطهيرها وذلك عن طريق مزارعي الفولجا والأراضي المرتفعة المحيطة بها ، هؤلاء المزارعون أصحاب حضارة فاتيانوفو

(Fatyanovo Culture) الذين توغلوا إلي وسط روسيا تحت ضغط الشعوب البونطية.

أما عن المجتمعات الزراعية في العالم الجديد فمن المحتمل أن تكون الفكرة العامة للزراعة قد وصلت إلي هذه البقاع عن طريق قارة أوراسيا ولكن لا يمنع هذا من افتراض نشأة مستقلة للزراعة في العالم الجديد ، إذ أن من المؤكد أن أدوات وطرق الزراعة الأمريكية ذات تقاليد ونشأة مستقلة. وقد نشأت هناك الزراعة المختلطة وكانت دعامتها زراعة بعض المحاصيل كالذرة والقرع والفول وتربية حيواني الألباكا واللاما الذي استخدم في حمل الأثقال وفي أكل لحومه والاستفادة بالحصول علي ألبانها.

وهكذا علي الرغم من أن المجتمعات الزراعية قد استطاعت مع نهاية العصر الحجري الحديث أي منذ ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة مضت أن تعمر مساحات واسعة من العالمين القديم والجديد إلا أن مساحات واسعة من اليابس ظلت بعيد عن العمران البشري شأنها في ذلك شأن مناطق العزلة أو مناطق الصعوبة التي لم ترحب بقدوم الإنسان ومن ثم فقد تجنب الذهاب إليها.

ولكن مع تقدم الإنسان الحضاري واتساع مداركه عن الزراعة تمكن من تحويل مساحات شاسعة من الغابات والمراعي إلي أراضي زراعية وذلك لنتيجة الضغط السكاني بسبب زيادة أعدادهم ومن ثم لم يعد أمام الرعاة والصيادين القدرة علي أن يحتفظوا بمراعيهم وغاباتهم أمام زحف الزراع وكان النتيجة الطبيعية لذلك هو تغير الغطاء النباتي في كثير من بقاع العالم.

وتتوقف الآن رفاهية الملايين من البشر في جميع بلدان العالم علي مستوي تطور الزراعة والأشكال الاجتماعية لتنظيمها ونصيبها من التطورات العلمية الحديثة. فمن حيث عدد السكان المشتغلين بالزراعة نجد

أن عددهم يفوق عدد المشتغلين بأي حرفة أخري حيث يعمل في الزراعة أغلبية سكان العالم فتبعاً للإحصاءات نجد أن نسبة سكان الريف يكونون ٥٧% من جملة سكان العالم البالغ عددهم حوالي ٧,٥ مليار نسمة بينما يكون سكان الريف حوالي ٤٥% من جملة سكان العالم وتعيش أغلبية سكان المجتمعات الريفية علي الزراعة مباشرة أو علي أعمال أخري مرتبطة بها.

ويلعب النظام الاجتماعي دوراً هاماً في تطوير الزراعة إذ أن هذا النظام يحدد العلاقة التي تربط بين الناس في عملية إنتاج وتوزيع المنتجات ففي البلاد الرأسمالية مثلاً يمتلك الإقطاعيون معظم الأراضي الزراعية ووسائل الإنتاج ومن ثم فيعمل ملايين من الأجراء لصالح هؤلاء المستغلين ، كما أن الزراعة في بعض البلدان الرأسمالية قد تعاني استغلالاً شديداً من قبل الاحتكارات المسيطرة علي الصناعة والتجارة والمواصلات الأمر الذي قد يترتب عليه فرض أسعار بخسه علي المنتجات الزراعية وأسعار عالية علي المنتجات الصناعية التي يشتريها الفلاح ففي الولايات المتحدة ارتفع سعر البضائع التي كان يشتريها المزارعون في الفترة ما بين ١٩٦٧ – ١٩٩١ بنسبة ٤٥% بينما انخفض سعر المنتجات الزراعية في الفترة نفسها بنسبة ٣٨%.

تمارس الزراعة بطرق متعددة كما أن أنواعها تختلف من مكان لآخر علي سطح الأرض وذلك تبعاً لقدرة الإنسان علي استغلال الأرض وتكيفه مع بيئته وأسلوب حياته. ومعني ذلك أن المجتمعات الزراعية تختلف في عدد سكانها وذلك حسب نوعية الزراعة ونمطها ومن ثم فقد تصنف الزراعة إلي عديد من الأنماط تختلف فيها مساحة الرقعة الزراعية التي يقوم الإنسان بزراعتها كما تختلف كثافة الأيدي العاملة ونوع المحصول والغرض من إنتاجه والنظام الاجتماعي ، كما تختلف أيضاً من حيث الثبات والاستقرار.

أولاً: الزراعة البسيطة:

يطلق عليها البعض اسم الزراعة البدائية وذلك علي أساس الأدوات الأولية المستخدمة في الزراعة التي تتمثل في الفأس اليدوية وفي بعض الأحيان العصا كما يطلق عليها البعض الآخر اسم الزراعة المعيشية البدائية (Primitive subsistence agriculture) وذلك علي أساس أن الغرض الرئيسي من هذه الزراعة سواء أكانت متنقلة أو ثابتة هو سد القوت ، وبعبارة أخري فهذا النوع من الزراعة يتسم بزراعة الكفاف وفيها لا يزيد مجهود الإنسان في حصوله علي المواد الغذائية عن المجهود البشري وعدد قليل من الحيوانات بحيث لا يسمح الإنتاج بأي فائض.

تسود الزراعة البسيطة في الأقاليم المدارية المطيرة بقارتي أفريقيا وأمريكا الجنوبية وجنوب الملايو وغينيا الجديدة وهنا نجد أن العامل الرئيسي المشكل لهذا النوع من الزراعة هو التربة التي لا تسمح بزراعة الأرض لعدة سنوات متتالية يدفع الزراع في هذه الأقاليم إلي الانتقال من منطقة إلي أخري يقطعون أشجارها ويحرقون أخشابها وأعشابها لإخصاب التربة ثم ممارسة الزراعة.

قد يعود إلي المنطقة بعد مضي عدة سنوات تكون فيها قد استعادت خصوبتها وتقوم الجماعات الزراعية هنا بزراعة الذرة الرفيعة والدُخن والنباتات الجذرية والفواكه وخاصةً الموز. وتقوم الزراعة علي المطر ، ولا يوجد بها نظاماً لملكية الأرض حيث أن الأرض ملكاً للجميع

ومن العوامل التي شجعت علي انتشار الزراعة البسيطة المتنقلة إتباع الأساليب الأولية في الزراعة ونقص الأسمدة ، وتعرض الزراعات لقطعان الفيلة مما يؤدي إلي تلفها واضطرار الجماعات الزراعية إلي الارتحال ذلك بالإضافة إلي انتشار الأوبئة والأمراض.

وتسكن الجماعات الزراعية هذا في محلات عمرانية صغيرة تتكون كل منها من مجموعة من الأكواخ المبينة من أغصان الأشجار في وسط الأراضي المزروعة.

ثانياً : الزراعة الكثيفة:

تعرف الزراعة هنا بالكثافة بالنظر علي عاملين أولهما كثرة الأيدي العاملة وإتخامها في المنطقة الزراعية وثانيها ضخامة رأس المال أو كثافة رأس المال ومعني ذلك أن الزراعة الكثيفة يمكن أن تقسم إلة نوعين:

النوع الأول:

يتمثل في المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة حيث تشتد كثافة السكان علي الأرض ومن ثم تصبح الملكيات الزراعية قزمية صغيرة وتتفتت

بين الأفراد وتكون النتيجة انخفاض المستوي المعيشي للفلاح بسبب قلة دخله رغم أن غلة الفدان تصل إلي أقصي درجة إنتاجية بسبب كثافة العمل.

النوع الثاني:

تتسم الزراعة فيه باستخدام الوسائل العملية الحديثة والآلات والبذور المنتقاة وذلك نتيجة لوفرة رأس المال ، وكل هذه العوامل تعمل علي رفع غلة الفدان غير أن كثافة السكان في ظل هذا النوع من الزراعة الراقية لا يصل بأي حال من الأحوال علي درجة كثافة السكان في النوع الأول من الزراعة. ويوجد هذا النوع في جنوب غرب أوروبا.

تنتشر الزراعة الكثيفة في مناطق كثيرة بالعالم القديم فتوجد في الأراضي الصينية في حوض نهر اليانجتسي ونهر السيكيانج كما توجد أيضاً في سهول نهر السند في الهند وباكستان وأحواض الجانح وبرهمابوترا في الهند ، وبصفة عامة يسود هذا النوع من الزراعة جنوب

شرق آسيا في أقاليم الأرز وعلي وجه الخصوص في الصين الهندية والصين ، كما يسود أيضاً في اليابان وفي وادي النيل الأدني ودلتاه في جمهورية مصر العربية.

ويلاحظ علي مناطق الزراعة الكثيفة أن الأراضي الزراعية قد استغلت هناك منذ فترة طويلة من الزمن حيث حاولت المجتمعات الزراعية القائمة في تلك المناطق استغلال كل المساحات الممكنة والصالحة للزراعة وذلك لن الزراعة بالنسبة لهم تعتبر عصب الحياة لقطاع سكان كبير منهم قد يصل إلي ٨٠% من جملة السكان ، وأغلب السكان يستخدمون في الزراعة آلات بسيطة لا تتعدي المحراث والفأس والنورج والشادوف والطانبور والساقية إلي جانب الحيوانات المستخدمة في الأعمال الزراعية ويسبب إجهاد الأرض باستنزافها بالزراعة وتجنباً لانخفاض إنتاجية المحاصيل الغذائية التي يعتمدون عليها في حياتهم (الأرز والذرة والشعير) لجأ السكان لاستخدام المخصبات بكثرة والاهتمام بتربية الحيوان بجانب الزراعة.

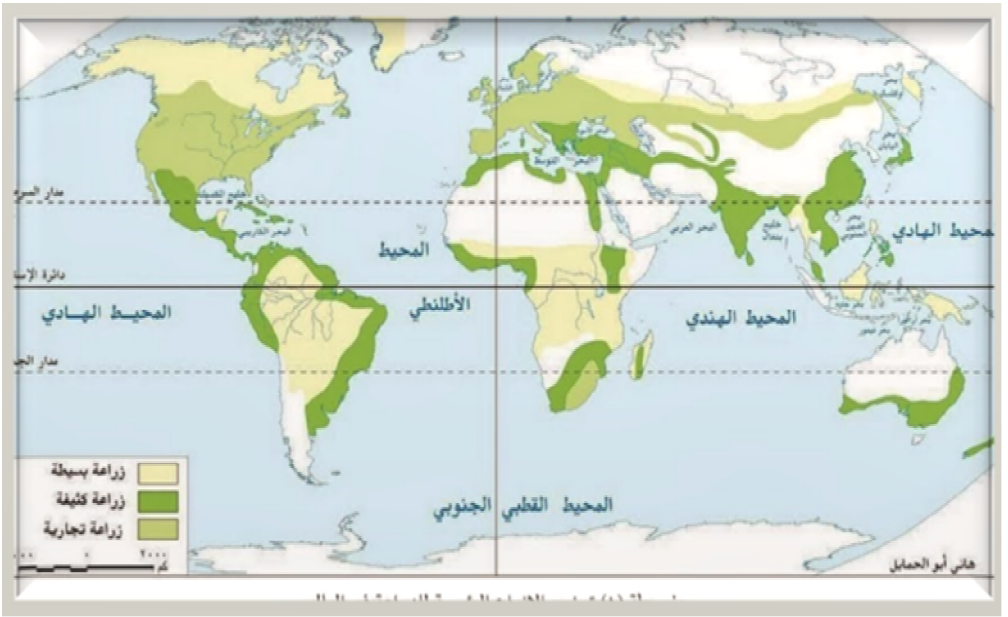

نقطة أخري وهي أن الزراع هنا يستغلون الأرض علي مدار السنة فتزرع الأرض مرتين أو ثلاث مرات ولا يترك جزء منها سنة كاملة بدون زراعة ورغم ذلك تستهلك معظم إنتاجها المحصولي محلياً ولا يجد سكانها متسعاً من الوقت للاشتغال بحرفة أخري. ويتركز الفلاحون في محلات عمرانية متقاربة متكدسة وهذا يوضح مدي كثافة هذا النوع من الزراعة الذي يحتاج بدوره إلي أعداد كبيرة من البشر لاستخدامهم في العمليات الزراعية المختلفة.

ثالثاً : الزراعة الواسعة:

تنقسم الزراعة الواسعة تبعاً لمناطق انتشارها إلي قسمين وهما الزراعة الواسعة البدائية والزراعة الواسعة الحديثة. والنوع الأول من الزراعة الواسعة يمارس بعض الجماعات الرعوية التي تزرع الحبوب في مساحات واسعة ثم ترحل في موسم الرعي تاركةً الأرض علي أن تعود لحصادها عقب انتهاء موسم الارتحال. ومن أمثلة هذه الجماعات أراضي العشائر البدوية في العراق ورعاة الاستبس وقبائل البقارة بجنوبي السودان.

أما الزراعة الواسعة الحديثة فتنتشر في السهول الوسطي في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وفي سهول ماري ودارلنج في جنوبي استراليا وفي الأراضي الزراعية في شرق البرازيل ومنطقة السهل الخصيب في الأرجنتين ، وفي أوكرانيا وبلغاريا وألمانيا وبولندا وإقليم بروسيا الشرقية ذلك بالإضافة علي إقليم الفلد في اتحاد جنوب أفريقيا.

وتعتمد الزراعة الواسعة الحديثة علي استخدام الميكنة الزراعية وذلك لكبر مساحة الأراضي الزراعية وقلة عدد السكان. وقد ساعد شدة الطلب العالمي علي المنتجات الزراعية وتحسن وسائل المواصلات إلي زراعة واستزراع ملايين الأفدنة البكر. ونظراً لعظم المساحة المزروعة وقلة عدد السكان فيها فإنتاج الفرد مرتفع بينما غلة الفدان فيها منخفضة

وذلك بالمقارنة بالزراعة الكثيفة ، أيضاً مستوي المعيشة مرتفع بسبب وفرة الإنتاج الذي يدخل في التجارة العالمية علي عكس إنتاج الزراعة الكثيفة الذي يستهلك محلياً.

وتعد من أبرز مظاهر استخدام العمليات الحديثة في الزراعة الواسعة هي استخدام وسائل الري الصناعي عن طريق الرش إذا ما ساد الجفاف ، ومقاومة الآفات برش المبيدات بواسطة طائرات الهليوكوبتر وإمكان زراعة سفوح الجبال عن طريق عمل المدرجات واستنباط أنواع جديدة من النباتات تتلاءم مع ظروف البيئة بالإضافة إلي استخدام الآلات الزراعية علي نطاق واسع في كل العمليات الزراعية والتوسع في تشييد شبكة من المواصلات لخدمة المناطق الزراعية ربطها بالعالم الخارجي.

من ناحية ملكية الأرض هناك فرق جوهري بين ملكية الأرض في الزراعة الواسعة البدائية وملكية الأرض في الزراعة الواسعة الحديثة ، ففي الزراعة البدائية ملكية الأرض مشاعة قبلياً بينما في المزارع الواسعة الحديثة حيث يصل حجم المزرعة في بعض الأحيان إلي أكثر من ألف فدان نجد أن ملكية الأرض ملكية فردية وليست قبلية ويستثني من ذلك نظام المزارع الاشتراكية التعاونية سواء كان نظام هذه المزارع جماعياً أو مزارع حكومية وإن لم يعد لها وجود حالياً.

وفي العادة تزرع هذه المزارع بالقمح والشعير والقطن أي أنها مناطق لزراعة غلات تجارية يدخل جزء كبير من إنتاجها في التجارة الدولية.وتزرع الأرض مرة واحدة في السنة وقد تترك بعض سنوات لتستريح ويزرع غيرها لاتساع الرقعة الزراعية. وفي ظل نظام الملكية المشاع نجد أن الإنتاج أقل بكثير من إنتاج المزارع الواسعة الحديثة ولا يكون الإنتاج جزءاً رئيساً من دخل الفلاح الذي قد يعتمد في حياته علي حرفة أخري كالرعي وتربية الحيوان.

والمجتمعات الزراعية في ظل الزراعة الواسعة لا تتكدس جنب إلي جنب في كفور وقري وعزب إنما تتناثر محلاتها العمرانية وتتباعد عن بعضها لتوضح لنا نمطاً عمرانياً مختلفاً تمام الاختلاف عن النمط العمراني الموجود في مناطق الزراعة الكثيفة وذلك من حيث التركيب الوظيفي والكثافة السكانية

رابعاً : الزراعة العلمية التجارية:

تقوم الزراعة العلمية التجارية في المناطق المدارية المطيرة إذ تمكن الرجل الأبيض من إقامة هذه المزارع في المناطق التي يستعمرها في أفريقيا وآسيا وجزر الهند الغربية فأقامها في حوض الكنغو وشرقي أفريقيا وفي الملايو واندونيسيا والفلبين وسواحل أمريكا الوسطي.

وتتميز المزارع العلمية الحديثة بزراعة غلة نقدية معينة يحتاجها العالم وبخاصة المناطق الصناعية كالمطاط والكاكاو ونخيل جوز الهند وزيت النخيل والجوت وغيرها من المحاصيل ذات القيمة التجارية المرتفعة في الأسواق العالمية.

ويقوم بالزراعة في المزارع العلمية الحديثة الأيدي العاملة المحلية تحت إشراف الخبراء الذين يطبقون أحدث الوسائل العلمية في الإنتاج الزراعي وتسويقه.

ويتطلب إنشاء مثل هذه المزارع رؤوس أموال ضخمة وطرق نقل جيدة بالإضافة إلي مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية التي حصلت عليها الشركات المالكة لهذه المزارع بطرق متعددة تداخل فيها عامل السياسة والاقتصاد ولعل من أهم العوامل التي شجعت علي انتشار المزارع العلمية الحديثة في المناطق المدارية المطيرة ملائمة الظروف الطبيعية والجغرافية لنمو المحاصيل المدارية التي يمكن تسويقها في الأسواق العالمية كقصب السكر والشاي والموز والأناناس ذلك إلي جانب توفر الأيدي العاملة الرخيصة في هذه الأقاليم خاصة بعد تعليم الأهالي أساليب

الزراعة الحديثة ، أضف إلي ذلك رخص أثمان الأرض الذي أدي إلي تهافت الشركات الاستعمارية علي استغلالها.

خامسا: الزراعة المختلطة:

تقوم الزراعة المختلطة أساسا علي الجمع بين تربية الحيوان والزراعة وذلك بقصد المساهمة بإنتاج هذا الجمع في التجارة الدولية بعد الإيفاء بالحاجة الوطنية أو المحلية. وينتشر هذا النوع من الزراعة في شرقي الولايات المتحدة وفي غربي أوروبا ووسطها حيث يتبع المزارعون هناك دورة زراعية ثابتة تجمع بين أعلاف الماشية والحبوب والمحاصيل الجذرية والخضر. ففي الولايات المتحدة يعتبر الذرة أساس الزراعة المختلطة إذ تعتمد الحيوانات علي هذا المحصول في غذائها كما أن زراعة الذرة أصبحت من مستلزمات صناعة تعليب اللحوم هناك ذلك بالإضافة إلي أن الرعاة قد تعرفوا قبل ذبح ماشيتهم أن يرسلوها إلي مزارع الذرة لتزداد سمنة. أما في شمال غرب أوروبا فنجد أن الزراعة المختلطة لا تدخل الذرة كأساس لدورتها الزراعية إنما تعتمد أساسا الزراعة في تلك الأقاليم علي الحبوب والمحاصيل الجذرية وتربية الحيوانات من أجل لحومها وأصوافها وجلودها.

نقطة أخري جديرة بالتسجيل وهي أن معظم أقطار الشرق الأوسط تعتمد هي الأخري في حياتها الزراعية علي تربية الماشية إلي جانب الزراعة ولذلك لابد من تهيئة الوسائل لتغذية الماشية التي تربيها القرية ، أما الماعز والغنم فيمكن أن ترعي خارج الأرض الزراعية ، لأنها تستطيع أن ترعي بعد ذلك ما يتخلف في الحقول بعد الحصاد ، وفي الشتاء تحتاج للدريس ، بينما تحتاج الحمير لعلف مكون من الحبوب والدريس.وأكثر الحيوانات نفقة في تربيتها هي الأبقار والثيران وهي تمد الفلاح باللبن ومستخرجاته وتساعده في أعمال الحقل.

الفصل الثامن

مجتمعات العالم العربي

مقدمة:

يشغل الوطن العربي مساحةً كبيرة من قارتي أفريقيا وآسيا إذ يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلي الخليج العربي شرقاً ومن مرتفعات طوروس شمالاً إلي العروض المدارية جنوباً في مساحة تقترب من ١٢مليون ك.م٢.هذا الامتداد الكبير ساعد علي وجود مجتمعات متباينة داخل إطار الوطن العربي الكبير الذي يتسم مناخه بصفة عامة بالجفاف إذ تشغل الصحراء جزاءً كبيراً منه ومن ثم فمجتمعات العالم العربي قامت أساساً حيث توجد موارد المياه الدائمة حول مجاري الأنهار الكبرى كنهر النيل ونهري دجلة والفرات أو حول العيون والآبار كما هو الحال في الواحات أو علي الشواطئ الساحلية المطلة علي لبحار والمحيطات والتي تستقبل قدراً من الأمطار يُمكن أهلها من أقامة حياة زراعية مستقرة.

ومجتمعات العالم العربي تركز أساساً علي نمطين من أنماط التجمع السكني أولهما مجتمع القرية وثانيهما مجتمع البدو والرعي. حقيقةً قد لعبت الصناعة والتعدين دوراً فعالاً في تغير النظام الاجتماعي الموجود في البلاد العربية غير أن هذا التغير لم ينجح في أن يذيب أو يمحو القاعدة الأساسية التي قامت عليها مجتمعات العالم العربي.

وبعبارة أخري فقد نجحت الصناعة التي تطورت بخطي سريعة في بعض البلدان كمصر مثلاً في أن تخلق مجتمعات صناعية محلية كمجتمع الصناعة في مدينة المحلة الكبرى والمجتمعات الصناعية في مدينة كفر الدوار وحلوان وغيرها من المجتمعات الصناعية التي لا تختلف في أسلوب عملها ونظامها عن المجتمعات الصناعية في دول غرب أوروبا إلا أنها لم ينجح في أن تحول المجتمع المصري ككل إلي مجتمع صناعي إذ أن ما يزيد علي ٥٥% من مجموع سكان مصر ما زالوا يعيشون في قري ومرتبطين بالأرض وبالزراعة.

ونفس الشيء يمكن أن يطلق علي المجتمعات التعدينية في الوطن العربي وهي تلك المجتمعات التي يساهم فيها البترول بنصيب كبير في الدخل القومي كالمملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية. فلا نستطيع أن نعتبر المجتمع السعودي مجتمعاً تعدينياً إذ أنه من المعروف أن أغلبية سكان المملكة العربية السعودية الذين يقدر عددهم بين ٣٢ مليون نسمة رعاة بدو يتنقلون في حركات فصلية بي أجزاء شبه الجزيرة العربية وأن الجماعات المستقرة تشكل نسبة محدودة تنحصر في سكان الحضر وفي المناطق التي ظهر بها البترول أو الذهب الأسود.

هنا كان تأثير التعدين محدوداً علي قطاع خاص من المجتمع وليس المجتمع كله ومن ثم نشأت مجتمعات تعدينية صغيرة داخل الإطار الرعوي الكبير للمجتمع.

وهكذا نجد أنواعاً متعددة من المجتمعات في الوطن العربي وكلها مجتمعات تتصل بالحضارة والبداوة فهناك مجتمع الزراعة المستقرة ، ومجتمع البدو العريق في البداوة ، وهناك مجتمع الفلاحين المعتمدين علي الري من العيون والآبار والفلاحين المعتمدين علي الري من مياه الأنهار الكبرى ، هناك مجتمع رعاة الإبل ومجتمع رعاة البقر ، هناك

مجتمع البدو ومجتمع أنصاف البدو ، هناك مجتمع الصناعة التعدين ، وهناك مجتمع المدينة ومجتمع القرية ، وهناك مجتمع القري المكدسة ومجتمع القري المتناثرة ، هناك مجتمع التجارة بل هناك أيضا مجتمع السياحة ، وكل هذه المجتمعات تعيش في الوطن العربي الكبير جنباً إلي جنب في مجتمعات متعاونة مع بعضها اقتصادياً ومتقاربة فيما بينها ثقافياً وحضارياً.

المجتمعات الرعوية:

المجتمعات الرعوية من أكثر المجتمعات انتشاراً في الوطن العربي فتوجد في شبه الجزيرة العربية وفي الصحراء الكبرى وتشغل الأراضي الصالحة للمراعي ما يقرب من ٤٠% من مساحة المملكة العربية السعودية أو ما يعادل ٩٢٧ألف ك.م٢. غير أنه بسبب قلة سقوط الأمطار بل ندرتها وعدم انتظامها أدي إلي ندرة هذه الأراضي للغطاء النباتي وساعد علي ذلك أيضا استغلال الإنسان للأعشاب الصحراوية كوقود وعدم صيانة المراعي بترك الحيوانات ترعي بدون رابط أو حساب

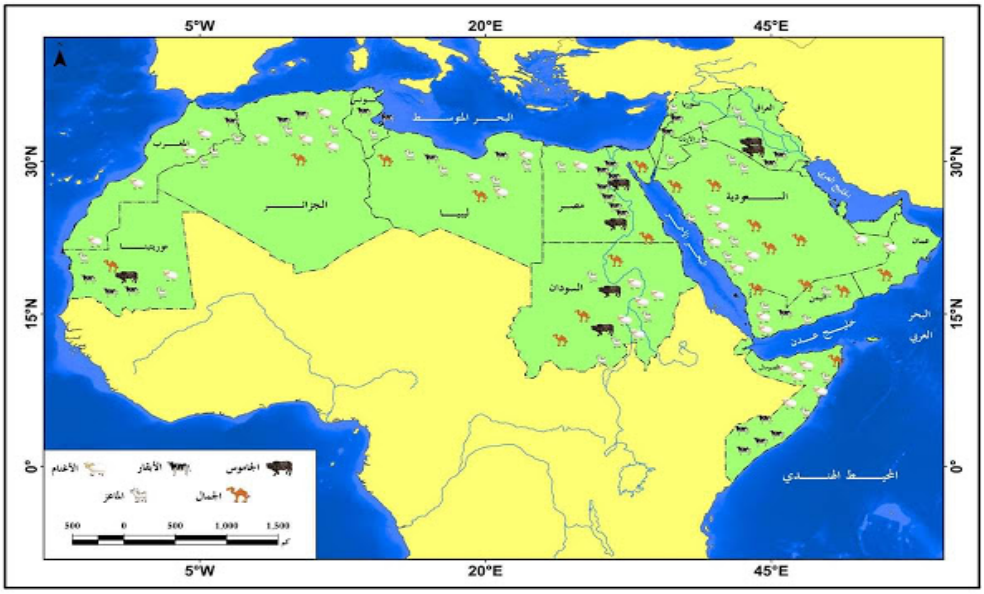

الثروة الحيوانية في الوطن العربي

تنتشر مناطق الرعي في شبه الجزيرة العربية في إقليم العسير الذي يحتل المركز الأول بين مناطق الرعي في المملكة ذلك إلي جانب الإقليم الشمالي وإقليمي نجد والحجاز وإقليم ساحل الخليج العربي.وفي كل هذه المناطق تتركز الحياة الرعوية أساسا في مناطق الوديان حيث تنمو الأنواع المختلفة من الحشائش والشجيرات.

ويعيش في هذه المناطق الرعوية بعض القبائل العربية من البدو الرحل الذين يحترفون رعي الإبل والأغنام والماعز ، وهؤلاء لا ينفردون بتربية كل أنواع الحيوانات التي تكون الثروة الحيوانية بالمملكة العربية السعودية إذ أن سكان الواحات المستقرون يشاركون الرعاة أيضاً في تربية الماعز والأغنام إلي جانب الأبقار والحمير.

وتعتبر الجمال أهم الحيوانات في شبه الجزيرة العربية إذ أنه وسيلة للانتقال عبر الصحراء ويقدر عدد الإبل في السعودية بما يقرب من ٦٠٠ألف رأس بينما تقدر عدد الأغنام والماعز بحوالي ٥ر٤ مليون رأس.وترجع أهمية الأغنام في اعتماد جماعات البدو ألبانها وأصوافها في سد معظم احتياجاتهم من الطعام والملبس ، أما الماعز فتستفيد القبائل من ألبانها ولحومها بالإضافة إلي شعرها الذي يستخدم في صناعة الخيام التي تمثل مساكن القبائل المتحركة.

أما الأبقار فتمتلك القبائل الرعوية في إقليم العسير ما يقرب من ٤٧% من جملة الرؤوس الموجودة في المملكة والبالغة حسب تقدير منظمة الزراعة والأغذية الدولية حوالي ٠٠ر٢٧٠ رأس والسبب في ذلك هو كثافة الغطاء النباتي في هذا الإقليم بالمقارنة بالأقاليم الرعوية الأخري في شبه الجزيرة العربية

وبسبب قلة الأمطار تتبع القبائل الرعوية نظام خاص في هجرتهم بحيواناتهم في مواسم خاصة من كل عام وذلك علي أساس وفرة الماء والكلاء وهذه الهجرات أو الحركات الفصلية Trans Humancتشكل

الحياة الرعوية القبائل. فمنذ بداية فصل الشتاء في أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر تبدأ القبائل في الرحيل من مقرهم الصيفي حيث يتجهون إلي مناطق سكني القبيلة فيقيمون بها حتي أوائل شهر مايو وبعدها يبدءون من جديد رحلتهم إلي القري والواحات القريبة منهم. وفي بدء فصل الصيف الحار عندما تتعذر الحياة يموت العشب وتنضب المياه وذلك في المنطقة الخاصة بكل قبيلة تنتقل القبائل إلي الواحات والقري القريبة منها حيث توجد في الآبار والعيون بصفة مستمرة فيقيمون خيامهم قريبا منها.

وفي فصل الصيف نتجه القبائل الرعوية التي تسكن في المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية إلي بلاد اليمن وعمان حيث تنمو الأعشاب في تلك الجهات بسبب سقوط الأمطار الناتجة عن هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية بينما تتجه القبائل التي تسكن في المناطق القريبة من الحدود العراقية إلي العراق والتي تسكن قريبا من الأردن إلي الأردن وسوريا.

وبصفة عامة أي ذبذبة في كمية الأمطار الساقطة علي تخوم الصحراء كافية لأن تحدث اضطرابات كبيرة بين قبائل البدو ولاسيما إذا تعاقب عدة سنوات من المطر النزر دون المتوسط الأمر الذي يدفع البدو إلي التسلل إلي أطراف البلاد الزراعية المستقرة.

ومما هو جدير بالذكر أن القبائل الرعوية في شبه الجزيرة العربية لها شهرة كبيرة منذ القدم في الاشتغال بالتجارة بين الإقليم الموسمي وإقليم البحر المتوسط.تلك الشهرة التي ارتبطت برحلة الشتاء والصيف التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وقد ساعدهم علي ذلك درايتهم الواسعة بمسالك الصحراء ودروبها ومواطن المياه الجوفية بها.

أما بالنسبة للمجتمعات الرعوية في الصحراء الكبرى فتنتشر هذه المجتمعات في الأجزاء الجنوبية من بلاد المغرب العربي ، وترعي

الجماعات الرعوية هنا الإبل والغنام والماعز بينما تربي الخيول والحمير في مناطق الواحات.والمراعي هنا فقيرة مما زاد من شظف حياة البداوة ودفع الحكومات العربية إلي العمل علي تحسين المراعي بزراعة بعض الحشائش التي تتلاءم وظروف البيئة الطبيعية القاسية.

ومن أهم الجماعات الرعوية في الصحراء الكبرى قبائل الطوارق أو الملثمون الذين يتجولون في مساحات كبيرة من الصحراء ويمكن أن تعتبرهم بربر.وقد استطاعت الطبقة الارستقراطية بينهم أن تحتفظ بشخصيتها ونقائها الجنسي رغم مجاورتها للمجموعات الزنجية في الجنوب.

ويمتاز الطوارق بالقامة الطويلة حوالي ١٧٤سم والرأس الطويل الكبير والأنف الضيق ذو القنطرة العالية. أما لون البشرة فيسود اللون الأبيض المائل للسمرة بين الطبقة الارستقراطية أما أولئك الذين اختلطوا بدرجات متفاوتة بالزنوج فلون بشرتهم بني فاتح.

وقد اعتنق الطوارق الذين الإسلامي في القرن السابع الميلادي وهم يتحدثون لغة خاصة بهم تسمي (لغة التماشك) وهي لهجة

بربرية.ويعيش الطوارق في قبائل لكل منها شيخ يدعي (أمرار) وهي تقابل
كلمة شيخ عند العرب والشيخ هنا يبسط سلطانه ونفوذه علي كل العشائر التابعة للقبيلة.

وقد نشأ مجتمع خاص لجماعات الطوارق التي تعيش في واحات الصحراء الكبرى ، وهذا المجتمع يسوده النظام الأموي حيث تتمتع فيه المرأة بمركز ممتاز وربما كان سبب ذلك هو قضاء الرجال لمعظم أوقاتهم خارج الواحة يشتغلون بنقل تجارة القوافل ويتركون أمور الواحة بين أيدي النساء تدرنها فهن اللاتي يشتغلن بالزراعة ويدرن شئون الواحة ومن ثم كان مركزهم الاجتماعي الكبير فالرجل يرثه ابن أخته الكبرى ، والرجل عندما يتزوج ينتقل إلي بيت الزوجة ويعيش مع أهلها.

ومن الجماعات الرعوية التي تعيش في الصحراء الكبرى جماعات التيبو التي اشتق اسمها من كلمتي تي – بو ومعانها شعب الصخر لأنهم يسكنون هضبة تبستي.وجماعات التبو اختلطوا بالعناصر الزنجية في السودان الأوسط بينما الشماليون منهم يشبهون البربر إلي حد كبير رغم أن قوامهم أغلظ ويوصف قوام نسائهم بأنه أدق قوام في أفريقيا

وترعي هذه القبائل الإبل والماعز وقد اشترك بعضهم مع بعض قبائل الصحراء الكبرى الأخري بالتجارة ، فكانت القوافل تحمل البلح والشعير والصوف من الشمال إلي المناطق الجنوبية وتأخذ العاج والدقيق وريش النعام من الجنوب إلي أهل الشمال ، ولقد قلت أهمية هذه القوافل بسبب إلغاء تجارة الدقيق وانتشار طرق السيارات الحديثة التي تخترق الصحراء الكبرى من الشمال إلي الجنوب.

أما عن المجتمعات الرعوية في السودان فيمكن أن تقسم إلي قسمين رئيسين تبعا للحيوان الذي ترعاه القبائل. القسم الأول ويشمل المجتمعات الرعوية التي ترعي الأبقار ومن أشهرها قبائل البقارة التي تنتشر في

كردفان ودارفور. وهذه القبائل ترعي الماشية أساساً بجانب بعض الزراعة.ومصطلح البقارة لا يُطلق علي عامة العرب الذين يرعون البقر علي نهر النيل أو شرق النيل الأبيض والأزرق بل هو مقصور علي العرب في غربي النيل الأبيض في كردفان ودارفور وعلي القبائل الجهينية بوجه خاص.

وبعد البقارة من أبرز قبائل السودان في الصفات الحربية ويمتد أقليهم من ناحية الغرب إلي جوار بحيرة تشاد ، كما أن نزعتهم الحربية جعلتهم قادرين علي نشر التأثير العربي إلي حوض بحر الغزال إلي الحدود التي تعيش فيها قبائل الدنكا ، وبعبارة أخري دفعت قبائل البقارة التي تضم التعايشة والرزيقات الجماعات النيلية المتزنجة إلي الجنوب حتي خط عرض ١٢ ش إلي بحر الغزال وبحر العرب.

التوزيع القبلي في دارفور (خريطة تقريبية)

ويبدو أثر ذلك الاختلاف في تقاطيع وجوههم ولاسيما في الشفاه الغليظة والشعر المفلفل أما من جهة الشمال فقد اتصل البقارة بالفور والجماعات المتصلة بهم.

وجماعات البقارة تنتقل مع قطعانها بين الشمال والجنوب وراء الكلاء فخلال أشهر الشتاء تنتقل القبائل جنوباً ومع بداية سقوط الأمطار يتجهون ناحية الشمال حيث تغرق الأمطار الغزيرة معظم الأجزاء الجنوبية التي تغرقها الفيضانات.

أما المجموعة الثانية من رعاة السودان فهي الجماعات التي ترعي الإبل ومن أشهرها قبائل الكبابيش التي تتركز أساساً في وادي الملك وأن كانت مناطق تجوالهم إلي حدود دارفور غرباً. أما في فصل الجفاف فقد يسقون أبلهم من وادي المقدم في الشرق ويتمكن بعضهم من الوصول إلي النيل في إقليم دنقلة وينتشر الكبابيش شمالاً إلي حدود مصر وبلادهم ملائمة كل الملائمة لرعي الإبل والضأن ومن ثم فإن ثروتهم لا تقتصر علي الإبل بل يملكون من الضأن أعداداً كبيرة تباع أضعاف أعداد الإبل ، كما أن تحولهم جنوباً إلي تخوم البقارة جعل بعض عشائرهم الجنوبية تربي الأبقار.

ومن القبائل التي ترعي الإبل أيضا البجا وينتشرون في شرقي السودان في المنطقة الممتدة ما بين ساحل البحر الأحمر ونهر النيل وهم ينقسمون إلي عدة أقسام منها قبائل البشارين في الشمال وقبائل الأمرار إلي الجنوب منهم ، وقبائل الهدندوة وبني عامرة ويقدر عدد الإبل في السودان بأكثر من ٢مليون رأس.

المجتمعات الزراعية:

يرتبط إقليم الشرق الأوسط بقيام الثورة الإنتاجية الأولي في تاريخ البشرية ومن ثم بأقدم المجتمعات الزراعية الموجودة في العالم

قامت في تلك المنطقة حيث توجد مناطق سهلية حبتها الطبيعة بأنها دائمة الجريان وفيرة الطمي كوادي النيل وسهول العراق.

فقد عرف المجتمع المصري الزراعة منذ الألف الخامسة ق.م.حيث قامت علي ضفاف النهر حضارة من أرقي الحضارات الإنسانية القديمة وأكثرها تأثيرا علي الحضارات المجاورة.

وقد توافر في المجتمع المصري عوامل متعددة ، بشرية وطبيعية، ساعدت علي قيام الزراعة وتطورها وتقدمها فمياه نهر النيل اللازمة لري المحاصيل المختلفة متوفرة ، والمناخ جيد ملائم للزراعة ، كما أن فصل النمو يعتمد طول العام مما أعطي الفرصة لزراعة أكثر من محصول في الأرض خلال العام الواحد. أضف إلي ذلك خصوبة الأرض وثرائها بالمواد العضوية المتنوعة إلي جانب تركز السكان في الوادي وتعاونهم في الأعمال الزراعية.

ونظرا لاعتماد الزراعة المصرية علي مياه النهر فقد استلزم ذلك تهذيب مجراه وإنشاء الجسور وتقويتها حتي تصد غائلة الفيضان وكان لابد من تقسيم الأرض إلي حياض ولابد من شق الترع والقنوات.فالزراعة في مصر تستلزم وحدة الجهود من أجل استمرار الفائدة المشتركة ، كما أن ظروف البيئة لا تسمح للفلاح المصري بالاستقلال عن غيره والعيش في حياة مستقرة مثل الفلاح السوري أو اللبناني أو مثل الفلاح في غربي أوروبا حيث يعتمد علي الأمطار في الزراعة.ففي مصر طالما يعتمد الفلاح علي الري فهو في حاجة إلي التعاون والتنظيم الاجتماعي.

والملكية الزراعية في المجتمع المصري مفتتة تفتيتاً شديداً وذلك لصغر المساحة الزراعية بالنسبة لعدد الفلاحين ، كما أن مراكز التجمع الريفي تتقارب المسافات فيما بينها وهذه صفة مرتبطة بالزراعة الكثيفة ومؤشر إلي ضغط السكان علي موارد الأرض الزراعية حيث يبلغ مساحة الأراضي الزراعية وذلك بعد الاستفادة الكاملة من مياه السد العالي ٨

مليون فدان في نفس الوقت يصل عدد السكان إلي ما يقرب من ٨٥ مليون نسمة.

وإذا كان الفلاح دعامة المجتمع المصري فإن القطن هو أهم المحاصيل الزراعية ويقدر متوسط إنتاجه السنوي بأكثر من ٨ مليون قنطار معظمها من الأقطان الطويلة التيلة التي تجد لها سوقا رائجة في العالم الخارجي، وإن تدهورت هذه الأرقام وتراجع نصيب مصر كثيراً في زراعة وتجارة القطن في نهاية القرن العشرين ، وإلي جانب القطن يزرع الأرز في مساحات واسعة من الأرض بحيث تنتج البلاد ما يزيد علي ٢مليون طن متري من أرز ويصدر جزءاً كبيراً منه إلي الأسواق الخارجية علاوة علي الذرة والقمح والبصل والبرسيم والفول والعدس والخضروات والفاكهة.

ويختلف المجتمع الزراعي في مصر عن المجتمع الزراعي السوداني إذ يعتمد المجتمع الأخير في الزراعة علي مياه النيل ومياه الأمطار كما أنه علي النقيض من المجتمع المصري لا يعاني ضخامة في عدد السكان وقلة الأراضي الزراعية فتبلغ مساحة الأراضي الزراعية في السودان حوالي ٨ مليون فدان بينما يبلغ عدد السكان حوالي ٤٠ مليون نسمة أضف إلي ذلك الإمكانيات الكبيرة للتوسع الزراعي ومعني ذلك مشكلة عدم التناسب من المساحة الزراعية والسكان موجودة في السودان بصورة مختلفة عن الصورة التي عليها المجتمع المصري.

ويلاحظ أن المجتمعين المصري والسوداني كانا يحتكرا إنتاج الأقطان الطويلة حيث كانا ينتجان أكثر من ٨٥% من الإنتاج العالمي للاقطان طويلة التيلة ولكن تراجعت هذه النسبة كثيراً في نهاية القرن الماضي، كما تعتبر الذرة الرفيعة من أهم الغلات التي تزرع في السودان حيث تبلغ مساحته أكثر من مليون فدان كل عام.ويلي الذرة في الأهمية الدُخن كما يزرع السمسم والفول السوداني والبطاطا والكسافا.

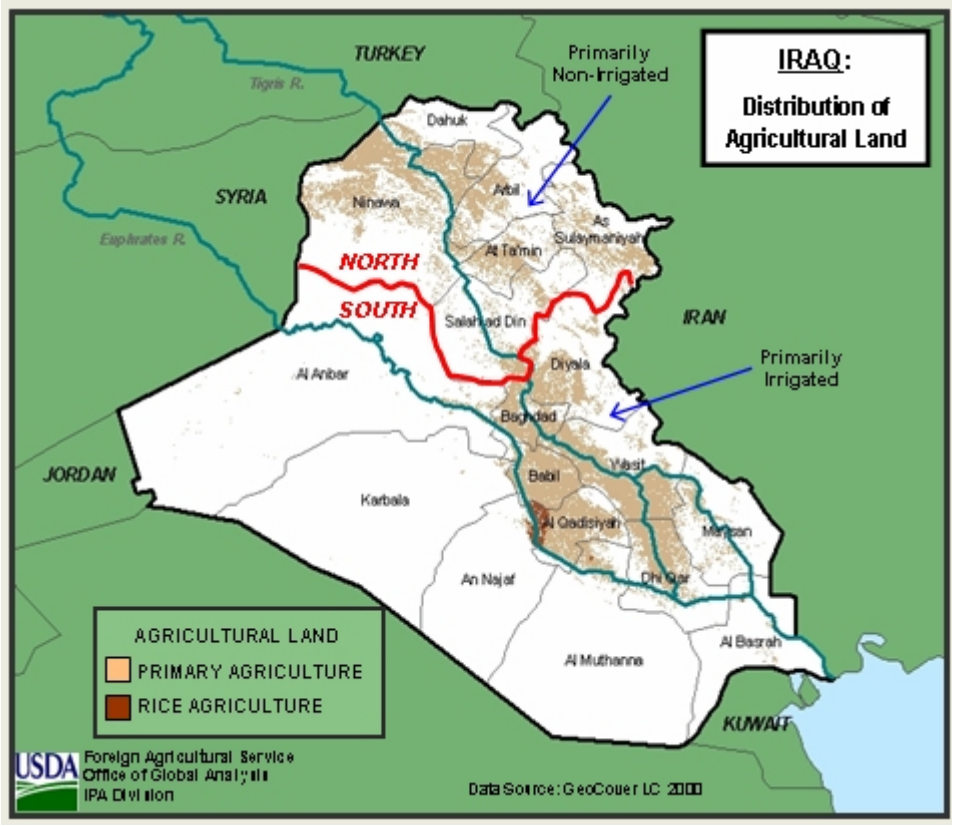

ويبدو أن المسرح الجغرافي الذي وجده الإنسان في العراق ومصر كان متشابهاً ففي كل من المنطقتين يوجد وادي طويل خصب غني بالتربة الزراعية المتجددة وبالمياه الجارية التي تجري طول العام في قنوات وشرايين مائية تمد التربة الزراعية بأكاسيد حياة نباتاتها.غير أن هناك اختلافاً رئيساً بين الفرات والنيل ، هذا الاختلاف هو في وقت حدوث الفيضان السنوي ، ففي العراق لا يستطيع أحد أن يتنبأ بميعاد فيضان نهر الفرات لأنه يتوقف علي الأحوال الجوية في مرتفعات الأناضول ويتوقف علي ذوبان الثلوج فوق هذه المرتفعات.فهو يأتي في أواخر الربيع في الوقت ما بين أوائل أبريل وبداية يوليو.ويكون ارتفاع الماء فجائياً.

وتبعا للظروف المناخية السابقة ضرورة بذر المحاصيل السنوية مع شهر أبريل في نفس الوقت الذي ما تزال فيه المحاصيل الصيفية في

الأرض ، ومعني ذلك أنه مادهم الفيضان الحقول في هذه الفترة وأغرق النباتات تحت عمق من المياه يبلغ حوالي ثلاثة أقدام فإن الفلاح يفقد كل أمله في محصوله الحالي بل أيضا في أمكان زراعة محصول جديد ولذا كان علي الفلاح العراقي محاربة غائلة الفيضان عن طريق تحويل بعض مياهه في خزانات أو منخفضات طبيعية تقع علي أطراف الصحراء المرتفعة ، هذا مع ملاحظة أن خصوبة العراق تعتمد علي التدفق العادي للنهر الذي يمكن التحكم فيه والاستفادة منه عن طريق شبكة من قنوات الري.

وهكذا نشأ في العراق المجتمع الزراعي كالمجتمع المصري من حيث قدم استغلال الإنسان للأرض وتعتمد الزراعة في العراق علي الأمطار في الأجزاء الشمالية من البلاد بينما تعتمد علي مياه الري من نهري دجلة والفرات في الأجزاء الوسطي والجنوبية.

ويبلغ عدد سكان المجتمع العراقي حوالي ٣٦ مليون نسمة ويؤلف السكان الزراعيون منهم نحو ثلثي المجتمع العراقي يعيشون في قري لا يزيد عدد سكانها كل منها في معظم الأحيان عن ٢٠٠٠نسمة ، وبعض من هؤلاء السكان يوضع في مرتبة أنصاف المستقرين لأنهم مازالوا يجمعون بين الحياة البدوية القائمة علي رعي الماشية والحياة الزراعية المرتبطة بزراعة الأرض وبعبارة أخري هؤلاء المزارعون يحتفظون بتقاليدهم وعادتهم البدوية ويتسم المجتمع الزراعي في العراق بأن لديه مساحة كبيرة من الأرض قابلة للزراعة تصل في مجموعها حوالي ٢٧مليون فدان يستثمر منها حاليا حوالي نصف هذه المساحة.ويعتبر القمح أهم الحبوب الغذائية التي يزرعها الفلاح العراقي إلي جانب الأرز والشعير والقطن والتبغ ، كما يشتهر المجتمع العراقي بإنتاج التمور حيث يقدر عدد أشجار النخيل هناك بأكثر من ٣٢مليون شجرة يصل إنتاجها السنوي إلي

أكثر من ٣٥٠ألف طن بحيث يساهم بنسبة ٨٠% من تجارة التمور الدولية وبحوالي ٤٠% من الإنتاج العالمي.

والفلاح في المجتمع العراقي يقوم بزراعة الأرض بطريقة المشاركة بمعني أنه يعمل في أغلب الأحيان نظير أجر عيني لا يزيد قيمته علي نصف قيمة المحصول رغم أن الحكومة تتحمل نفقات أعمال الري ، أما إذا تحمل المالك نفقات الزراعة فتصل حصة المزارع إلي حوالي ثلث قيمة المحصول ومن ثم أصدرت الحكومة قانوناً يحدد الحد الأدني لأجر المزارع بنصف قيمة المحصول.

وبالإضافة إلي المجتمعات الزراعية الرئيسية السابقة الذكر تنتشر حرفة الزراعة والقري الزراعية في مساحات أخري واسعة في العالم العربي في ليبيا وتونس والجزائر وسوريا ولبنان وغيرهم من دول الشرق الأوسط.

فالقرية العربية مجتمع قديم عريق، يتبع أساليب قديمة في الإنتاج ولازال متمسكا بأسس اجتماعية تقليدية فالأدوات الزراعية المستخدمة في الوقت الحاضر هي نفس الأدوات الزراعية التي كان يستخدمها من عشرة قرون مضت بالمحراث والشادوف والمنجل والفأس وأساليب الري البدائية القديمة ما زالت هي محور الزراعة العربية رغم أن الملكية الزراعية قد عرفت طريقها في بعض المجتمعات العربية إلا أن الطريق مازال أمامها طويلا قبل أن استخدم علي نطاق واسع أو تصل إلي الأقاليم الزراعية التي مازال فيها زمام الأرض الزراعية صغيراً بسبب تفتيت الملكية أو أنوع الزراعة القائمة.

المجتمعات الصناعية:

يبدو مما سبق انتماء مجتمعات العالم العربي أساساً إلي مجتمع القرية أو مجتمع البادية وأن الصناعة أو التعدين قد نجحت في أن تخلق داخل هذه المجتمعات الكبرى مجتمعات أصغر ومن ثم يوصف المجتمع

بأنه مجتمع صناعي إذا كانت حرفة الصناعة هي السائدة وكانت الأيدي العاملة بها تمثل أعلي نسبة بين العاملين في المجتمع.وعند تطبيق ذلك علي مجتمعات العالم العربي نلاحظ أنه لا توجد مجتمعات صغري داخل هذه المجتمعات الكبرى يمكن أن توصف بأنها مجتمعات صناعية اللهم داخل إطار المجتمع المصري.

وفي هذه المجتمعات الصناعية استطاعت الصناعة أن تترك بصمتها بقوة علي مورفولوجية المنطقة الموجودة بها، يعني أن المصانع أصبحت تمثل في هذه المناطق العالم الرئيسية كما أن كل شئ في المنطقة أحد ينمو ويتطور بمقدار اتصاله بالصناعة وارتباطه بالعامل الذي يدير آلة المصنع

ومن أمثلة المجتمعات التي توجد في مصر مجتمع الصناعة في مدينة المحلة الكبرى ، وهنا يوجد أكبر منطقة صناعية في مصر وأقدمها عهداً بالصناعة إذ أن صناعة الغزل والنسيج قامت هناك بالذات لتوافر عامل السبق الجغرافي والخبرة لدي السكان ذلك إلي جانب عوامل أخري تتصل بالتوسط الجغرافي والقرب من إعادة الخام وغير ذلك من العوامل التي تساعد علي قيام وتوطن الصناعة في مكانها.كذلك هناك مجتمع صناعي في حلوان وآخر في منطقة شبرا الخيمة الصناعية وثالث في منطقة كفر الدوار وفي جميع هذه المناطق قامت مدن صناعية تضم المصانع والعمال والمرافق الأزمة لقيام الصناعة.

المجتمعات التعدينية:

كان من نتيجة استغلال الثروة المعدنية والبترول في العالم العربي أن ظهرت مجتمعات تعدينية في أماكن استغلال هذه الثروات بحيث ارتبط نظام حياتها وتشكل باستغلال هذه الموارد الطبيعية وأصبح وجود هذه المجتمعات مرتبطاً باستمرار استثمار واستخراج الثروات الموجودة في المنطقة.

ويعتبر البترول أهم الثروات الطبيعية المستغلة في الوطن العربي بل أكثر الثروات تأثيراً علي اقتصاديات البلاد العربية وأبلغها أثراً في التطور الاجتماعي للشعوب العربية.ويوجد البترول في المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر والأمارات العربية والكويت والعراق كما يوجد أيضا في مصر وليبيا.

وقد كانت العراق أول الأقطار التي اكتشفت بها البترول في المشرق العربي حيث بدأت شركة بترول العراق منذ عام ١٩٢٧ إنتاج البترول حتي وصل إلي مليون طن عام ١٩٣٦ثم إلي ما يزيد علي ٥٠٠ مليون طن حالياً.وقد تبعت المملكة العربية السعودية العراق من حيث أسبقية الاكتشافات البترولية فعثر علي البترول لأول مرة في حقول الدمام في عام ١٩٣٥م ثم توالت الاكتشافات البترولية بعد ذلك إلي أكثر من ٥٥٠ مليون برميل سنويا.وكانت قطر ثالث الأقطار العربية في المشرق العربي التي عُثر بها علي ثروة بترولية في منطقة جبل الدخان في عام ١٩٣٩ ولقد أخذ إنتاج قطر يزداد حتي تعدي ٦مليون برميل سنويا.ثم بعد ذلك اكتشف البترول في البحرين في عام ١٩٤٠وفي الكويت في عام ١٩٣٦.وقد ثبت احتواء الكويت علي كميات هائلة من البترول حتي أن الاحتياطي بها يقدر بحوالي ربع الاحتياطي العالمي وتنتج الكويت كمية سنوية تزيد علي ٦٦٠ مليون برميل.

وفي عام ١٩٤٩م اكتشف البترول في المنطقة المحايدة الواقعة بين الكويت والسعودية ويقوم بالتنقيب عن البترول هناك بعض الشركات الأمريكية والايطالية واليابانية.ولقد اكتشفت الشركات اليابانية أيضا البترول في المنطقة البحرية المقابلة لسواحل المنطقة المحايدة ، وفي عام ١٩٦٠ اكتشف البترول في أقصي شمال شرق سوريا في حقول السويداء.

ولقد ساهمت اقتصاديات البترول في زيادة الدخل القومي لدول المشرق العربي مما ساعد الحكومات علي إنشاء المدن في الصحراء حيث مناطق البترول وتزويدها بالمرافق العامة وساعدت أيضا علي تنفيذ المشاريع التي تهدف إلي زيادة الثروة الاقتصادية للبلاد وكذلك الخدمات الاجتماعية والثقافة لشعوب هذه المنطقة.

أما بالنسبة لمصر ودول المغرب العربي فنجد أن اكتشاف البترول والحديد والفوسفات والمنجنيز في الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وشبه جزيرة سيناء قد غير كثيراً من معالم المناطق التي اكتشفت فيها هذه المعادن ويزيد إنتاج حاليا من البترول عن ٩مليون طن ومن المتوقع زيادة الإنتاج نتيجة للاكتشافات الحديثة في الصحراء الغربية.ومما هو جدير بالذكر أن الشركات المختلفة التي تباشر عمليات التعدين قد أقامت المستعمرات السكنية للعمال والمهندسين القائمين بعمليات التعدين في قلب الصحراء وزودت هذه المحلات العمرانية الحديثة بالخدمات الاجتماعية والثقافية.وقد اكتشف البترول في ليبيا منذ عام ١٩٥٥ وقد بلغ إنتاج ليبيا من البترول أكثر من ٧٠ مليون طن سنويا ، كما بدأ إنتاج

البترول في الجزائر منذ عام ١٩٥٧ ويزيد إنتاجها في الوقت الحاضر عن ١٠٠مليون طن.

وفي المغرب يعتبر الفوسفات أهم عناصر الثروة المعدنية فتحتل المغرب المرتبة الثانية بين دول العالم المنتجة للفوسفات وأول الدول المصدرة له فيزيد إنتاجها السنوية عن ٩مليون طن

الخلاصة أن البترول وغيره من الثروات الطبيعة في العالم العربي قد أحدث تغيرات اجتماعية هامة إذ أن شركات استغلال البترول تحتاج إلي عمالة محلية ومن ثم استطاعت هذه الشركات أن تجتذب البدو إلي حياة حضريه واجتماعية جديد لم يعرفوها من قبل (فأصبح لأول مرة في تاريخ البداوة أمام الآلة الغربية الجبارة وجها لوجه ، وقد استطاع أن يتعلم أسرار هذه الآلة وسيطر عليها ، واستطاع أن يتغلب علي شعور المهانة التي يشعر بها البدو نحو المهن اليدوية ، كما أنه بدأ يخرج من النظام القبلي الذي كان يعيش فيه وخف شعوره بالولاء إزاء شيخ القبيلة واتجه ولاؤه نحو الشركة ونحو العمل الجديد وأصبح فرداً مدنيا بعد أن كان راعيا بدويا ، وهذه العملية انتهت أو هي في سبيل الانتهاء إلي حالة تفكك تصيب القبائل البدوية)،ولكن بفصل شعور العرب وسيادتهم لأوطانهم لم يتحولوا بعد تفكك القبائل إلي مجرد وهماً في مدن البترول الجديدة علي الخليج العربي بل علي النقيض من ذلك حاولوا أن يطوروا حياتهم ويمسكوا بزمام الأمور في بلادهم.

المراجع

١. جمال حمدان، بترول العرب، القاهرة ١٩٦٤.

٢. محمد فاتح عقيل وفؤاد الصفار، جغرافية الموارد والإنتاج، الإسكندرية، ١٩٦٤.

٣. محمد السيد غلاب، البيئة والمجتمع، القاهرة، ١٩٦٩.

٤. محمد السيد غلاب، تطور الجنس البشري، القاهرة، ١٩٦٩.

٥. محمد السيد غلاب وصبحي عبد الحكيم، السكان ديموغرافيا وجغرافياً، القاهرة ١٩٦٩.
٦. محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، الجغرافيا التاريخية، القاهرة ١٩٦٩.
٧. محمد السيد غلاب ويسري الجوهري، جغرافي الحضر، الإسكندرية، ١٩٧١.
٨. يسري الجوهري، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية، بيروت، ١٩٦٨.
٩. يسري الجوهري، السلالات البشرية، طبعة ثالثة، بيروت، ١٩٦٩.
١٠. يسري الجوهري وحافظ مصطفي ، جغرافية السكان، الإسكندرية، ١٩٧٠.

المراجع غير العربية:

1- Aderson, M., Geography of living things, London, 1951.
2- Brown, W.C., & Johnson, P.H. How people live, London, 1918.
3- Brown, P., Man's adaptoion to Nature, London, 1939.
4- Davis, D.H., The Earth and Man, New-York, 1955.
5- Fisher, W., The Middle East, London, 1945.
6- Fleur, H.J., Human Regions, Sectt Geog, Mag., 1919.
7- Ford, F.D., Haditat, Economy and Society, London, 1947.
8- Hourani, A., Minorities in the Arab Workd, London, 1947.
9- King, H.W., The pattern of human activities, Sydney, 1752.
10- Page, J.W., From Hunter to Husbandman, London, 1935.
11- Sollas, W.J., Ancient hunters, London, 1934.

الفصل التاسع

الإنسان والدولة

(الجغرافيا السياسية)

المقومات الجغرافية ونشأة الدولة:

لم يعرف الإنسان خلال المراحل الأولي للحضارة البشرية الدولة بمفهومها الحديث ، ذلك المفهوم المرتبط بوجود رقعة محددة من الأرض يقطن داخلها مجموعة سكانية تربطها روابط ثقافية وتاريخية ومعنوية ويحكمها سلطة تباشر تنظيم الأمور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين أفراد هذه المجموعة السكانية ، كما تتولي أيضاً العلاقات المتنوعة بين العالم الخارجي وهذه الدولة.

تطور النظام الاجتماعي عصر المعدن(٣٠٠٠ق.م) للتجمعات السكانية كضرورة لزيادة عدد السكان وتطور النظام الاقتصادي ونشأة المدن التي جمعت حولها مراكز عمرانية أصغر منها حجماً ووظيفةً وتدين لها بالتبعية.وبالتدريج توصل الإنسان بعد ذلك إلي ضرورة تأمين رقعة الأرض التي يستقر بها حيث عمد إلي ترك بعض الأراضي الفضاء الخالية لتحيط بالمدن وذلك لأجل أن يتمكن من الدفاع عن أرضه في حالات المنازعات التي كانت تنشأ بين الجماعات المستقرة والجماعات الرعوية المتنقلة.

ظهرت الحاجة إلي ضرورة تعيين الرقع الأرضية التي تباشر فيها كل جماعة نشاط حياتها منعاً للمنازعات والحروب لذلك بدأت الحاجة إلي تخطيط مناطق الحدود ثم تطور الأمر إلي ظهور الدولة بصورتها الحالية.

عناصر قيام الدولة

ولكي تكون هناك دولة لابد من توافر عناصر ثلاث رئيسية تُعرف بالأسس أو المقومات الجغرافية للدولة.ويري العديد من الباحثين أن أول هذه الأسس وهي:

١- الأرض

هي أهم مقوم لنشأة الأرض حيث لا يمكن أن تقوم بدونها وأن كانت الأرض التي تشغلها الدولة قد تختلف من نواحي عديدة، فبعض الدول تشغل مساحةً كبيرة من الأرض بينما تقوم الأخري علي مساحة صغيرة ، كما أن الموارد الطبيعية للأرض تختلف من مكان لآخر تبعا لظروف التكوين الجيولوجي للمنطقة ومن ثم فهناك الدول الغنية والدول الفقيرة ، بالإضافة إلي ذلك تختلف أهمية أو قيمة الأرض باختلاف موقعها الجغرافي إذ تتوفر في مواقع بعض الدول مميزات حُرمت منها مواقع دول أخري فهناك دول بحرية تمتلك سواحل طويلة وهناك دول أخري تسعي للحصول علي نافذة تطل منها علي البحار المفتوحة.

٢- السكان

وإذا كانت الأرض هي مسرح الدولة أو أحد وجهي العملة فإن السكان هم الوجه الآخر من العملة بمعني أن قيام الدولة يرتبط بوجود شعب يقطن الأرض ويعطيها سلطة التعبير عن علاقة هؤلاء السكان بالأرض ولذا تختلف الدول من حيث عدد سكانها فهناك دول كثيفة السكان مثل الصين والهند ودول أخري قليلة السكان مثل دول الخليج واستراليا وموريتانيا.

٣- السلطة الحاكمة

أما العنصر الثالث الواجب توفره لقيام الدولة فهو السلطة الحاكمة التي يرمز لها باسم الحكومة ووظيفتها الإشراف علي سكان الدولة ورعاية مصالحهم في الداخل والخارج علي السواء.

<u>وبناء علي العناصر السابقة يمكن أن تقسم المقومات الجغرافية للدولة ثلاثة أقسام رئيسة هي:</u>

أولا: الأسس أو المقومات الطبيعية

تشمل هذه الأسس الموقع الجغرافي للدولة ومساحتها وشكلها كما تشمل التضاريس والمناخ والنبات الطبيعي الموجود بها.

الموقع الجغرافي:

نلاحظ أن الأهمية الإستراتيجية للدول مختلفةً وذلك تبعاً لتوسط موقعها أو تطرفه بالنسبة للطرق المواصلات العالمية ومقدرة سيطرتها وتحكمها علي هذه الطرق وسهولة استخدامها لها، وذلك بالإضافة إلي علاقة موقع الإقليم بمراكز الثقل الحضارية والسياسية في العالم ، ومعني ذلك أن قيمة الموقع الجغرافي قد تتغير تبعاً لتطور العوامل البشرية المصاحبة للتطور السياسي والحضاري في العالم.

علي الرغم أن الموقع الفلكي للدولة قد لا يدخل عليه أي تعديل في أثناء تذبذب القيمة الجغرافية للموقع، فموقع مصر مثلا في الركن الشمالي الشرقي من أفريقيا بين خطوط عرض وخطوط طول معينة ظل ثابتاً طوال التاريخ غير أن قيمة هذا الموقع تغيرت ففي العصور القديمة وحتي العصر الروماني كانت مصر ذات موقع جغرافي ممتاز بسبب تحكمها في التجارة المارة بين الشرق والغرب.

خلال الفترة بين القرنين السابع والعاشر الميلادي فقد موقع مصر الجغرافي قيمته بسبب انقطاع التجارة بين أوروبا المسيحية والعالم الإسلامي ثم عاد وازدهر من جديد حينما استؤنفت التجارة بين الشرق والغرب ولكن بعد أن اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح أضمحل أهمية الموقع الجغرافي لمصر ولم يعد إليه أهمية إلا بعد شق قناة السويس التي قدمت طريقاً أقصر من طريق رأس الرجاء الصالح أمام السفن المتجهة من أوروبا إلي آسيا أو بالعكس.ويمكن أيضاً أن نتتبع تذبذب قيمة الموقع الجغرافي لبريطانيا قبل وبعد اكتشاف العالم الجديد وموقع نيوزيلندا

البعيد عن طرق المواصلات العالمية وكذلك موقع كل من سوريا وفلسطين.

(الصين وتعدد الحدود السياسية (١٤ دولة)

وقد تحدد قيمة الموقع الجغرافي أيضاً من حيث العلاقة بين اليابس والماء فهناك دول تطل علي البحار المفتوحة بسواحل طويلة كالولايات المتحدة الأمريكية علي حين أن هناك دولا أخري لا تطل علي بحار وهي الدول التي يُطلق عليها اسم الدول الداخلية أو الدول (الحبيسة) مثل سويسرا والنمسا ومنغوليا وأفغانستان وبوركينا فاسو وأثيوبيا...، وجدير بالذكر أن الدول البحرية تتمتع بميزة هامة وهي سهولة اتصالها بدول العالم المختلفة عن طريق الملاحة البحرية السهلة الرخيصة بينما تحرم الدول الداخلية من هذه الميزة اللهم عن طريق استخدامها لمواني الدول البحرية، نقطة أخري ترتبط بموقع الدولة وهو الدور المهم للموقع في توجيه سياستها الخارجية ففي الاتحاد السوفيتي القديم- مثلاً- دفعتها الإستراتيجية العسكرية إلي نقل مراكز الصناعة

الثقيلة إلي ما وراء جبال الأورال ، كما أن موقع ألمانيا الداخلي جعلها تحاول قبل الحرب العالمية الأولي أن تنشأ أسطولاً بحرياً بغرض التوسع والحصول علي مستعمراتها كذلك اشتراك فرنسا وألمانيا في حدود نهر الراين دفع فرنسا إلي أن تنهج سياسة الأحلاف القصيرة لتطويق ألمانيا.

مساحة الدولة

نظراً لتفاوت المساحة من دولة إلي أخري فيمكن تقسيمها لسهولة الدراسة إلي الأقسام الآتية.

١- <u>دول عظيمة المساحة:</u>

مثل روسيا (١٧ مليون كم٢)والولايات المتحدة الأمريكية (٩.٣ مليون كم٢) والصين (٩.٥ مليون كم٢) وكندا (٩.٩ مليون كم٢) والبرازيل (٨.٥ مليون كم٢)، وهذه الدول تعدد بها خطوط الطول ودوائر العرض لذلك تشتمل عدة أقاليم مناخية ونباتية وتتنوع بها مصادر الثروة.

(العملاق الروسي(١٧م كم)

٢- **دول كبيرة المساحة:**

كالهند(٣.٢٥ مليون كم٢) والسودان(٢.٥ مليون كم٢) والمملكة العربية السعودية والكنغو الديمقراطية والجزائر وهي دول أصغر في مساحتها من مجموعة الدول الأولي، إلا أنها تتمتع بمساحات شاسعة وموارد متنوعة.

٣- **دول متوسطة المساحة:**

كايطاليا وأسبانيا والعراق ومصر، مع ملاحظة أنه ليس هناك مقنن معين لتحديد مجموعة الدول ذات المساحات المتوسطة إذ أن المعيار هنا تقريبي كما هو الحال بالنسبة لتحديد المجموعات الأخري.

٤- **دول صغيرة المساحة:**

كاليمن والكويت والأردن والبحرين وقطر.

٥- **دول قزمية المساحة:**

وهي الدول الصغيرة جدا كالفاتيكان وأمارة موناكو وجمهورية أندروا علي الحدود بين أسبانيا وفرنسا.

بعض الدول العربية صغيرة المساحة

وكلما كبرت مساحة الدولة تنوعت مواردها الطبيعية وإمكانياتها البشرية وبالتالي ازدادت قوة الدولة حيث أن الاستغلال الاقتصادي السليم لموارد الدولة لا يمنحها قوة داخلية بل يزيد من قوة تأثيرها علي المجتمع الدولي ويتضح ذلك بجلاء في وضع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا،فكل منهما تشغل رقعة كبيره من الأرض تتعدد فيها الأقاليم المناخية والنباتية كما تحتوي أيضا علي ثروات معدنية كبيرة ومصادر متعددة ومتنوعة ذلك بالإضافة إلي أن كلا الدولتين قد قطعتا شوطاً كبيراً في استغلال مواردها استغلالاً منظماً ولديها إمكانيات اقتصادية تكفل الحياة لأعداد أكبر من السكان.

والمساحة في حد ذاتها ليست هي المعيار الوحيد لقوة الدولة أو قدرتها في السياسة العالمية فالهند والبرازيل وكندا أكبر مساحةً من فرنسا وبريطانيا غير أن وضع المجموعة الثانية في ميزان القوي العالمية يجعلها ضمن مجموعة الدول العظمي وذلك علي النقيض من الهند أو البرازيل والسبب في ذلك هو أن الهند لم تنجح في استغلال الإمكانية

البيئية المتاحة لها رغم عظم عدد سكانها وضخامة مساحتها كذلك البرازيل تشبه كندا واستراليا في أن مساحتها الكبيرة لم تعوضها عن نقص السكان بها وقلة إمكاناتها الاقتصادية.

كذلك لا تُأخذ المساحة كدليل علي القوة القومية داخل الدولة فالهند مثلاً أكبر أيضاً من حيث المساحة من كل من فرنسا وبريطانيا ولكن رغم ذلك تأتي بريطانيا في المركز الأول من حيث القوة القومية وتساويها في ذلك فرنسا ثم تأتي الهند بعد ذلك نظراً لتعدد اللغات والأديان بها.

شكل الدولة

تتفاوت دول العالم من حيث المساحة وتختلف أيضاً من حيث أشكالها، ويلاحظ أن الشكل المثالي للدولة - من الناحية النظرية البحتة- هو الشكل الدائري المنتظم أو القريب من ذلك ولاسيما إذا كان مركز الحكم أو العاصمة في الوسط، والسبب في تفضيل هذا الشكل أيضاً من الناحية النظرية هو أن حدود الدولة في حالة الشكل الدائري تكون قصيرة بالنسبة لمساحتها الأمر الذي يساعد علي سهولة الدفاع عنها.

ومن الناحية التطبيقية نجد أن الشكل المثالي للدولة هو أي شكل تكون فيه أجزاء الدولة متماسكة فعلي سبيل المثال رومانيا وسويسرا والمجر كلها أشكال لدول أقرب إلي المثالية سواء من ناحية الشكل الدائري أو من حيث التماسك.

وعلي العكس من ذلك هناك دول طويلة الشكل مثل شيلي وماليزيا كما أن هناك دولاً تتميز بأن أراضيها غير موحدة وهذه يمكن تقسيمها إلي قسمين: الأولي دولة عبارة عن مجموعة كبيرة من الجزر المبعثرة كاليابان وإندونيسيا والثانية دولاً أخري مشطورة إلي قسمين يفصل بينها أراضي تابعة لدول أخري كما كان الحال بالنسبة لباكستان الغربية

وباكستان الشرقية (بنجلاديش) والتي كان يفصل بينهما أجزاءً من شمال الهند، كذلك الحال في ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية حين كان يشطرها الممر البولندي.

(المجر والشكل المندمج)

(شيلي والشكل المفرط في الطول)

وتزداد قدرة الدولة علي حماية أراضيها إذا كانت حدودها تتفق مع المرتفعات كما هو الحال بالنسبة لحدود شيلي الشرقية علي حين تضعف المرتفعات من قوة الدولة إذا كانت تخترق أراضيها كما هو الحال بالنسبة لبلغاريا. ويلاحظ أن المرتفعات يمكن أن يكون لها دوراً اقتصادياً هاماً في حياة الدولة إذا ما احتوت علي ثروات معدنية أو إذ ما استخدمت سفوحها كمراعي للأغنام والماعز، كما أن السهول الخصبة ذات المناخ الملائم يمكن أن يكون لها دوراً فعالاً في تكثيف السكان وتوفير إمكانيات زراعية للدولة الأمر الذي يساعد علي دعم قوتها.وبالمثل لكل مظهر من مظاهر التضاريس الكبرى في الدولة أثر علي إستراتجيتها وقوتها.

المناخ

هناك العديد من النتائج المرتبطة بتنوع المناخ في مختلف دول العالم حيث تتنوع ثرواتها النباتية والحيوانية علي السواء الأمر الذي أثر إلي حد كبير في حياة السكان في كل الدول ويلاحظ بصفة عامة أن المناخ المعتدل المطير ساعد علي تنوع المنتجات الزراعية وتركز السكان

بأعداد كبيرة كما هو الحال في وسط أوروبا وأمريكا الشمالية بينما لم يزل المناخ الشديد البرودة حائلا لمزاولة الإنسان لأي نشاط إلا في حالة توفر الثروات المعدنية.

الكونغو والشكل غير المنتظم

وفي كثير من دول العالم استطاع الإنسان أن يزيل مساحات كبيرة من الغابات ويحولها إلي أراضي زراعية مما ساعد علي ازدياد ثروات الدول كما استطاع الإنسان في عدد آخر من الدول التي تنمو بها الحشائش الطبيعية أن يزاول مهنة الداعي بجانب الزراعة.

والخلاصة أن قوة الدولة الاقتصادية تزداد إذا ما توفرت بها مساحات تتنوع فيها النباتات الطبيعية وكان سكانها قادرين علي استغلال هذه المساحات.

ثانيا : الأسس أو المقومات البشرية

يدخل تحت المقومات البشرية السكان واللغة والدين والموارد الاقتصادية:

السكان

ينظر إلي سكان الدولة من زاويتين أولهما من ناحية تكوينهم السلالي أو الجنسي أي التركيب العرقي للسكان والثاني من ناحية السمات الديموغرافية للسكان التي تعتمد علي تحليل الإحصاءات السكانية وذلك لمعرفة تطور السكان وتركيبهم ونسب فئات السن المختلفة وذلك من أجل تقدير القوة العاملة، ذلك بالإضافة إلي معرفة توزيع السكان داخل الدولة لتحديد مناطق تركزهم ومناطق انتشارهم وعلاقة ذلك بالحدود.

(الصين والهند عملاقي السكان في العالم)

وكما تتفاوت دول العالم من حيث المساحة تختلف أيضاً من حيث عدد السكان ، غير أن عدد السكان في حد ذاته لا يمكن أن يؤخذ كمؤشر أو دليل علي قوة الدولة أو ضعفها لأن قوة الدولة تكمن في العدد (الأنسب للسكان) وهو العدد القادر علي استغلال الموارد الطبيعية في الدولة استغلالاً مثمراً فإذا زاد عدد السكان عن الحد الأنسب لها أصبح هناك حالة إفراط سكاني وإن قل العدد أيضا أصبح هناك حالة تفريط ،مما يسهم في إضعاف الدولة.

لا تكمن قوة الدولة في مساحتها فقط بل أيضاً في عدد سكانها ومقدرتهم علي استغلال مواردها فإذا كان عدد السكان يفوق طاقة موارد الدولة انخفض المستوي الاقتصادي لأفراد الشعب أما إذا كان عدد السكان أقل من إمكانية ومقدرة الدولة الاقتصادية أصبح تدني السكان عائقاً دون التقدم الاقتصادي إذ يضطر سكان الدولة إلي أن يتركوا قدراً كبيراً من الإمكانيات الاقتصادية دون استغلال وفي هذه الحالة يصبح الافتقار إلي السكان عائقاً دون التقدم الاقتصادي.

وقيمة سكان الدولة لا تكمن في عدد السكان بقدر ما تكمن في مقدرتهم الحيوية ، ونسبة القوي المنتجة Productive Group ونسبة القوي المعوضة Pre- Reproductive (وهي نسبة الإناث التي تقل أعمارهن عن ١٤ سنة إلي جملة عد الإناث في الدولة) وعدد الإناث والذكور وفئات السن وأمد حياة الأفراد ، ونسبة الوفيات والمواليد وغيرها من العناصر التي تشكل الوضع السكاني في الدولة. وبصفة عامة نجد أن المستوي الاقتصادي والاجتماعي وتركيب السكان يلعب دوراً هاماً في قوة الدولة فكلما ارتفع مستوي السكان الاجتماعي زادت مقدرتهم الحيوية وكلما استطاعوا استغلال الموارد الطبيعية في الدولة أحسن استغلال زادت بالتالي قوة الدولة.

وتختلف الدول من حيث تجانسها العرقي إذ أنه لا توجد أي دولة تتصف بنقاء شعبها من الناحية السلالية نقاءاً تاما حيث أن تقدم وسائل النقل والمواصلات ساعد علي انتشار الإنسان في كل بقعة من بقاع الأرض كما ساعد علي اندماج سكان العالم وتزاوجهم مع بعضهم ففي بعض الدول لا يوجد أي تنافر إثني وعرقي بين شعبها الذي يتميز بالتجانس التام رغم تعدد سلالته ومن أمثلة هذه الدول مصر وفرنسا إذ استطاعت كلا الدولتين أن تستوعبا السلالات التي دخلت إليها وتصبغها بصبغة قومية واحدة – مصرية كانت أو فرنسية.

وعلي النقيض من هذه الدول تلك الدول التي لم تنضج قومياً بعد والتي تتصف بتعقد تركيبها الجنسي إذ أن العناصر المختلفة التي تعيش في الدولة لم تستطيع أن تندمج مع بعضها بسبب احتفاظها بولائها وانتماءاتها القومية القديمة وعدم إمكانهم الانصهار في بوتقة القومية الجديدة وفي هذه الحالة يكون التكوين المعقد للسكان عاملاً من عوامل ضعف الدولة إذ يخلق لها مشكلة الأقليات ومن أمثلة الأقطار التي تدخل تحت هذا النوع من التكوين العرقي يوجوسلافيا السابقة وجمهوريتي التشيك والسلوفاك والهند حيث تتكون كل دولة منها من أكثر من مجموعة جنسية تتصف كل منها بصفات ثقافية واجتماعية مختلفة عن الأخري.

ويوجد نمط ثالث للتكوين الأثني والعرقي للدولة ، وهو نمط وسط بين النمطين السابقين ويتصف بوجود أكثر من قومية في الدولة غير أن مصالحها جميعاً واحدة ولغتها واحدة ومن ثم استطاعت هذه القوميات أن تتلاءم مع بعضها وتعيش سوياً الأمر الذي ترتب عليه في النهاية أن تظهر هذه القوميات بشخصية واحدة للدول ولعل من أبرز الأمثلة في هذا الصدد الولايات المتحدة الأمريكية التي تمكنت من صهر كل العناصر الوافدة بما فيهم الزنوج وتكّون مجتمع متجانس إلي حد ما بفضل فرض لغة واحدة علي كل المواطنين.

اللغة

تمثل وسيلة التفاهم والتخاطب بين المجموعات البشرية خاصةً المرتبطة حضارياً وسياسياً ، فهي تعد الرابطة القوية التي توحد بين أبناء الشعب أو الأمة الواحدة ، وتمثل إحدي الروابط المتينة خاصةً إذ كانت مرتبطة بالدين مثل اللغة العربية وارتباطها بالإسلام.

وخريطة توزيع اللغات في العالم كالموزاييك الذي يجمع آلاف اللغات واللهجات المتنوعة أو المحدودة الانتشار التي لا يتعدي المتحدثين بها بعض مئات ، إلي اللغات واسعة الانتشار التي يتحدث بها مئات الملايين ، ففي أوراسيا تنتشر اللغة السامية خاصة العربية والتي يتحدث بها ما يزيد علي ٣٠٠ مليون نسمة.

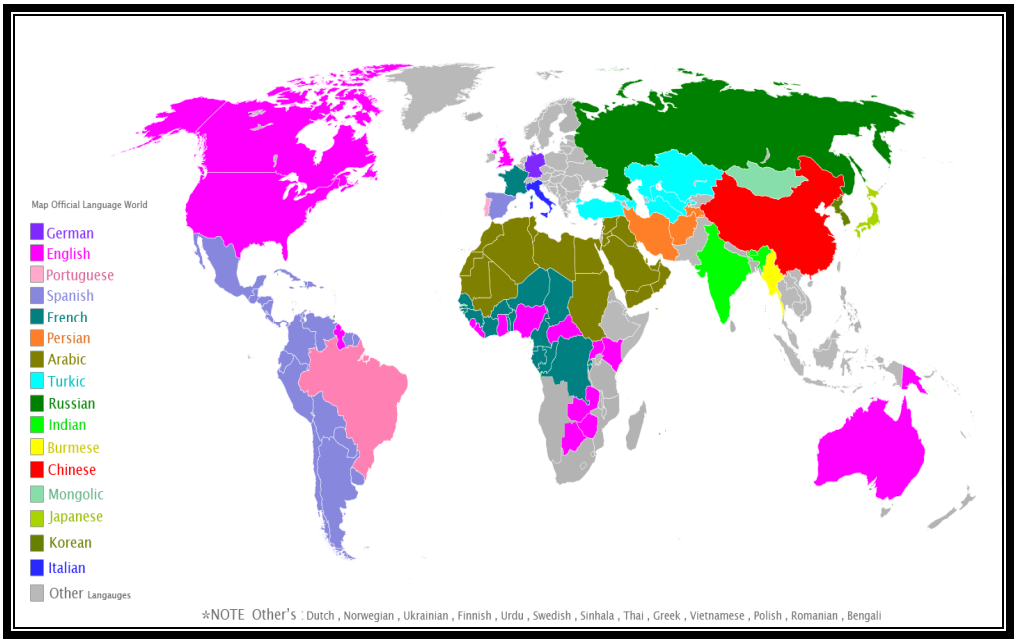

(خريطة اللغات في العالم)

خصائص التوزيع الجغرافي للغات المنتشرة بالعالم أهمها:

١- تخطي انتشار عديد من اللغات الحدود السياسية:

مثل الإنجليزية التي تسود فيما يعرف بدول الكومنولث وهي التي كانت تحت الاستعمار البريطاني ويصل حجم سكانها إلي أكثر من مليار ونصف، وهناك أيضاً اللغة الفرنسية والتي ينضوي تحتها ما يعرف باسم المجموعة الفرانكوفونية والتي يقترب عدد دولها حوالي ٥٠ دولة ، وتندرج تحت هذه الفئة اللغة العربية التي يتحدث بها أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة.

٢- **تتعدد اللغات داخل الوحدة السياسية الواحدة:**

مثل الهند (مئات اللغات واللهجات)، الاتحاد السوفيتي السابق (حوالي ١٢٥ لغة ولهجة)، سويسرا (ثلاث لغات)، بلجيكا (ثلاث لغات)، جيبوتي (ثلاث لغات)، كندا (لغتان).

٣- **دول تقتصر علي لغة واحدة:**

مثل العربية (مصر)،اليابانية (اليابان) والأيسلندية (آيسلند) والبولندية (بولندا).

٤- **لغة أقليات:**

هناك لغات يقتصر المتحدثين بها علي أقلية عرقية أو دينية لأسباب تاريخية أو سياسية مثل "الباسك ، بشمال أسبانيا ، الأكراد في الشرق الأوسط ، البربر في الجزائر،....." وتعد اللغة إحدي وسائل تماسك الدولة إذا كانت ذات لسان واحد ، في حين يسود التوتر والقلاقل السياسية إذا كانت هناك مجموعات لغوية تستند علي دعاوي انفصالية.

الدين:

يشكل الدين أقوي الدوافع الكامنة داخل الإنسان وأقدسها ، ويعد عامل استنفار وشحذ للهمم ، وتعود عديد من الصراعات القديمة والحديثة أيضاً إلي عامل ديني ، حيث أنه يعد من أسباب الحروب ودافع رئيسي مؤدي إليها.

والغرض الأساسي للأديان نشر الفضيلة والحث علي الخير والسلام، ونبذ العنف والظلم ، والتشريع لعبادة الله وتضع لذلك منهاجاً لتنظيم العلاقات علي مستوي الأفراد والجماعات ، وعلاقات الحاكم بالمحكوم وغيرها ، إلا أن هناك ما يتخذ الأديان كوسيلة من وسائل التمييز الديني ضد جماعات بعينها أو دولة ضد دولة أخري ، أو مذهب ضد آخر حتي داخل الدين الواحد.

تتعدد الأديان حالياً بجميع أنحاء العالم منها الأديان السماوية (الإسلام - المسيحية - اليهودية) ومئات أخري غير سماوية ، ويندرج تحت كل دين مذاهب متعددة وعشرات من النحل ، بالإضافة إلي انتشار الوثنية في عديد من نواحي العالم.

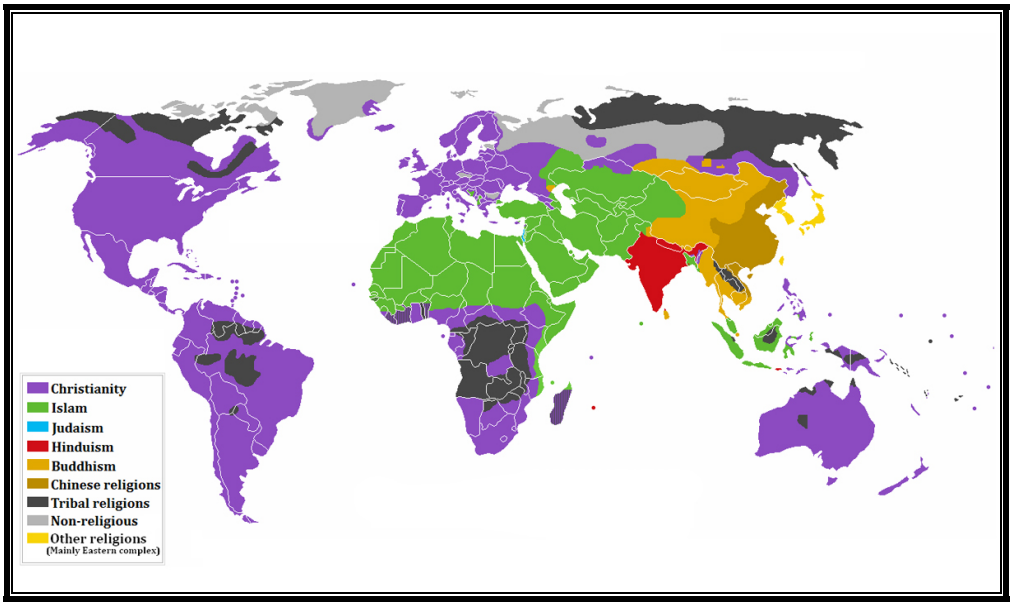

توزيع الأديان في العالم

وأهم الملاحظات علي خريطة العالم لتوزيع الأديان :

١- تنتشر المسيحية بين أكثر من ربع سكان العالم (١.٥ مليار نسمة)، حيث تنتشر بأوروبا والعالم الجديد وأجزاء من أفريقيا وآسيا.

٢- يسود الإسلام بين أكثر من مليار و٣٠٠ مليون إنسان ، يتركز أغلبهم بقارتي آسيا وأفريقيا وأقليات ببقية قارات العالم.

٣- يبلغ عدد معتنقي اليهودية حالياً حوالي ١٤ مليون يهودي ، موزعين علي بلدان العالم المختلفة ، ٦ مليون منهم يعيشون بالولايات المتحدة الأمريكية ويكونون قوة ضغط علي السياسة الأمريكية لتحكمهم بكافة المناشط (الاقتصادية - الإعلامية....) ، وفي فلسطين ، أقام ٥ مليون

يهودي دولة إسرائيل علي حساب أصحاب الأرض الأصليين أما باقي اليهود فينتشرون في بقية أنحاء العالم مكونين أقليات ذات نفوذ قوي.

بالإضافة إلي ذلك هناك ما يزيد علي ٦٠٠ مليون هندوسي في الهند، وحوالي ٧٠٠ مليون بوذي ونحو ٣٠٠ مليون كونفيشيوسي بجنوب شرق آسيا ، ويوجد في اليابان ما يزيد علي ١٢٥ مليون يعتنقون الشنتويه ، وهناك ملايين من البشر يمارسون طقوس طوطمية ووثنية في عديد من بقاع العالم

يؤدي التنوع الديني إلي قيام حروب أهلية ودولية يكون الدين هو أساس وقودها ، وتأتي أيرلندا كنموذج لذلك حيث الصراع الدموي بين البروتستانت والمدعومين من قبل حكومة بريطانيا وجماعات الكاثوليك الذين يسعون إلي تحرير الجزء المحتل من قبل بريطانيا ، وهناك أيضاً حروب البوسنة والهرسك وكوسوفو حيث يسعي المسلمون للاستقلال ، وفي الشيشان التي تحاول إعلان استقلالها عن الاتحاد الروسي ، وغيرها من حروب سابقة (الهند - باكستان ، يونان - تركيا) وأيضاً حروب لاحقة.

ثالثاً : المقومات الاقتصادية

يعود الاهتمام بدراسة أثر العوامل الاقتصادية في نشأة وتطور الدولة إلي عدة اعتبارات ، فالموارد الاقتصادية لها تأثير كبير في القوة السياسية للدولة ، ويرتكز التطور الاقتصادي علي الظروف الجغرافية للدولة ، فلكي تؤدي الموارد الاقتصادية دورها المؤثر في سياسة الدولة لا بد من استغلالها وتنميتها والمحافظة عليها من الاستنزاف.

فالسياسة الاقتصادية وتنفيذها يرتبط بالمعطيات السياسية حيث يؤدي التغير في نمط توزيع الثروة بالدول وعلي مختلف القوميات إلي تغير كبير في الشكل السياسي ، ويضاف لذلك أن العلاقات الاقتصادية

تكون جزءاً مهماً من العلاقات السياسية الدولية والتي تمثل أهمية في الجغرافيا السياسية.

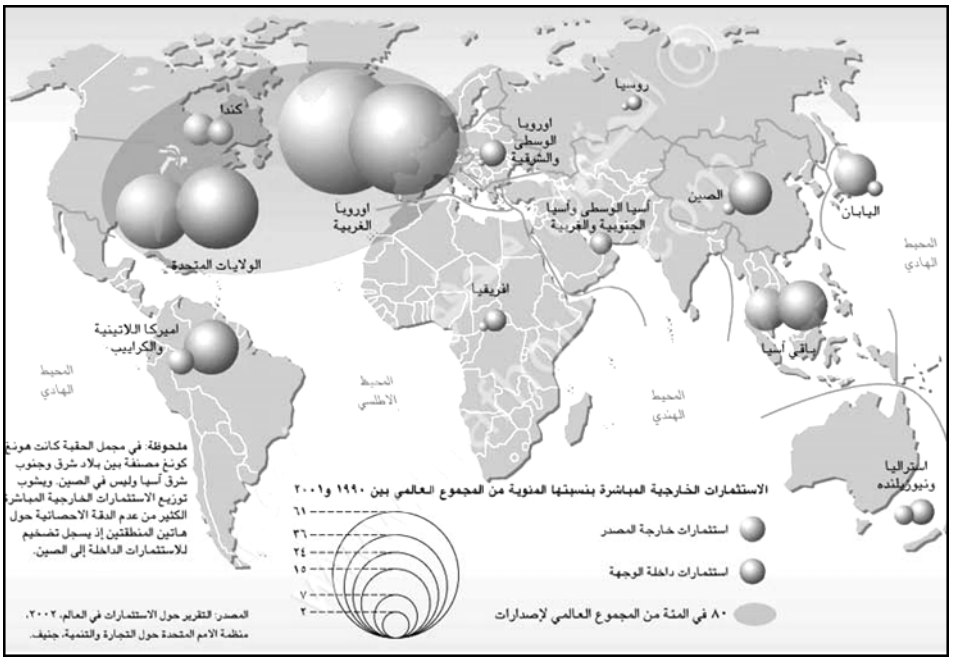

الحدود السياسية :Boundaries

تهتم الجغرافيا بدراسة الحدود السياسية "Boundaries" من خلال مواقع هذه الحدود كواقع جغرافي ،ونتائج توقيعها علي الخرائط السياسية ، سواء كانت هذه النتائج بشرية مرتبطة بحركة وتوزيع السكان وكذلك شبكة النقل والمواصلات... ، أم كانت نتائج طبيعية مرتبطة باستغلال الأنهار أو الموارد الكامنة (معادن ، مياه، بترول) ومجال المياه الدولية وأيضاً أنماط الحدود وتصنيفها من حيث الوظيفة أو الشكل...

ويشير المدلول اللغوي لكلمة "الحد" إلي الحجز أو الفصل منعاً للاختلاط والشيوع، وفي مجال الجغرافيا السياسية تعني أكثر بالمنطقة التي تحدد لكي تمارس الدولة - أي دولة - سيادتها من خلالها ، ويحق لها الانتفاع بمواردها واستغلال كافة الإمكانات التي توجد بها.

والمفترض أن تشتمل الحدود السياسية للدولة علي كافة أبعاد السيادة ، بمعني أن تحدد الإطار البري وكذلك تحديد المياه الإقليمية سواء مياه عذبة أو مياه مالحة ، بالإضافة إلي المجال الجوي ومناطق السيادة في السماء ، وتعد الحدود السياسية من أكثر عوامل عدم الاستقرار الدولي و ذلك بسبب عدم ترسيمها بصورة قاطعة ومحددة ، بحيث تعرف كل دولة إطارها الجغرافي وبالتالي إقليم سيادتها وتعزو صعوبة الترسيم لأسباب متعددة وعوامل مختلفة منها ما يتصل بالجغرافيا وأخري بالتاريخ وثالثة بالسياسة....

والحدود السياسية ظاهرة بشرية في المقام الأول وهو ما يعني تغيرها من آن لآخر ، وذلك حسب الظروف السياسية ، حيث أنها تكون أحياناً حدود مفروضة علي دول ما فرضاً وقسراً وبمجرد التحرر من هذه الظروف تسعي هذه الدول إلي تغيير الواقع سواء بالمفاوضات (اليمن - السعودية) أو عن طريق الحروب والعمليات العسكرية (إيران - العراق ، إرتريا - أثيوبيا) فمن هنا تكون مشاكل الحدود السياسية مصدر نزاع ومثار مشكلات وتهديداً للأمن والاستقرار الدولي دائماً ، وبصفة خاصة بين دول العالم الثالث والتي لم تعرف الاستقرار السياسي حتي الآن.

أسباب نشأة الحدود السياسية:

ورثت الحدود السياسية التخوم وقامت بدورها مع الاختلاف الواضح بين الظاهرتين، فكما كان للتخوم أسبابها، كانت للحدود أيضاً دوافعها التي حدت بها إلي الظهور علي خريطة العالم السياسية، ومن أهم هذه الأسباب والدوافع:

- التوسع الجغرافي للدول علي حساب التخوم المجاورة (الصحاري - الغابات...) ونتج عن ذلك النزاعات بين الدول كلٍ تدعي الحق في

هذه التخوم ، فكان الاتجاه لتحديد هذه التخوم بواسطة الخطوط الفاصلة.

- أدي استقلال عديد من دول العالم الثالث في النصف الثاني من القرن العشرين إلي نشأت الحدود الهندسية بين هذه الدول المستقلة حتي تمارس هذه الدول المستقلة سلطاتها وسيادتها
- رغبة الدول في تطوير تخومها وأقاليمها الهامشية تجنباً للاصطدام بجيرانها ، فتسعي للاتفاق علي رسم حدودها هندسياً لتحديد مجالها الجغرافي.
- نتجت بعض الحدود السياسة بعد عقد معاهدات واتفاقيات سياسية حتي تضمن الدول وخاصة الصغري منها السيادة علي مجالها خوفاً من الأطماع الاستعمارية.
- تمثل الحروب والنزاعات أحد أسباب ترسيم الحدود ، خاصةً تلك النزاعات المرتبطة بالحدود بين الدول ، فكان من نتائج هذه الحروب التوصل إلي اتفاقات لتسوية هذه النزاعات.

وظائف الحدود:

تمثل سيادة الدولة وممارسة سلطاتها داخل إطار محدد أبرز وظائف الحدود السياسية وأهم عوامل قيامها ونظامها السياسي وكذلك توجهها الاقتصادي وغيرها من عناصر السيادة.

تعد الحماية من أبرز أهداف ترسيم الحدود ، حيث تقوم الدول بعمل استحكامات عسكرية خاصة في المناطق الحدودية سهلة المنال وتحتاج لتقوية، مثل ما فعلت فرنسا بإنشاء خط ماجينو مقابل الحدود الألمانية والتي واجهت ماجينو بإنشاء خط سيجفريد ليقوم بنفس الوظيفة ، ويندرج خط بارليف الذي أنشأته إسرائيل علي طول خط قناة

السويس تحت عامل الأمن والحماية ، وإن لم تجد هذه التحصينات حيث تم تحطيمها خلال المعارك التي دارت حولها.

تأتي سيطرة الدولة وتحكمها في مواردها الاقتصادية من وظائف الحدود حتي لا تتضارب مصالح الدول الاقتصادية بعضها البعض و لا تكون مدعاة لنشوب نزاعات وحروب كما حدث بين فرنسا وألمانيا ونزاعهما الطويل علي فحم السار وحديد اللورين ، أو ماحدث خلال حرب الخليج الثانية والتي غزت فيها العراق دولة الكويت بدعوي استنزاف الكويت لحقل الرميلة العراقي علي الحدود بينهما.

وتأتي النزاعات حول المياه في إطار الحماية الاقتصادية بتحديد مناطق استغلال المياه وحفر الآبار والعيون بالمناطق الحدودية ، وكثيراً ما تكون النزاعات ناتجة عن تقسيم حقوق المياه والغاز الطبيعي والبترول والتي توجد بصورة متحركة ويمكن سحبها بوسائل تقنية حديثة ، فتصبح مثار خلاف كبير ومشاكلها أكثر تعقيداً من تلك الموارد الصلبة التي يمكن تقسيمها والاتفاق علي مناطق استغلال كل دولة.

وتمثل السيادة القانونية إحدي وظائف الحدود حيث تمثل الحدود الشرعية بالنسبة للدولة التي تطبق خلالها كافة القوانين والتشريعات الخاصة بها ولا يمكن تجاوزها بأي حال ، فالحدود هنا تمثل إطار السيادة والشرعية ويخضع لقوانينها مواطنيها أو الوافدين إليها.

تصنيف الحدود:

تتعدد الحدود وتتباين فهناك حدود أخذت صفة الاستقرار وأخري لازالت في حالة تغير، وهناك حدود فاصلة وأخري واصلة، وحدود طبيعية وأخري هندسية وهكذا تختلف الحدود فيما بينها وتتباين ، ويمثل التصنيف الشكلي للحدود أبرز هذه الأنواع لارتباطه بالعوامل الجغرافية.

أولاً:الحدود الطبيعية

يعتبرها بعض الباحثين أفضل أنواع الحدود لما تمثله من أهمية إستراتيجية ذات قيمة دفاعية مهمة ، بالرغم من أن تطور الوسائل العسكرية وظهور الصواريخ عابرة القارات وبروز القوات الجوية في حسم المعارك ، قلل من أهمية الحدود الطبيعية في العصر الحديث ، ومع ذلك احتفظت هذه الحدود بوضعها كنموذج مثالي للحدود.

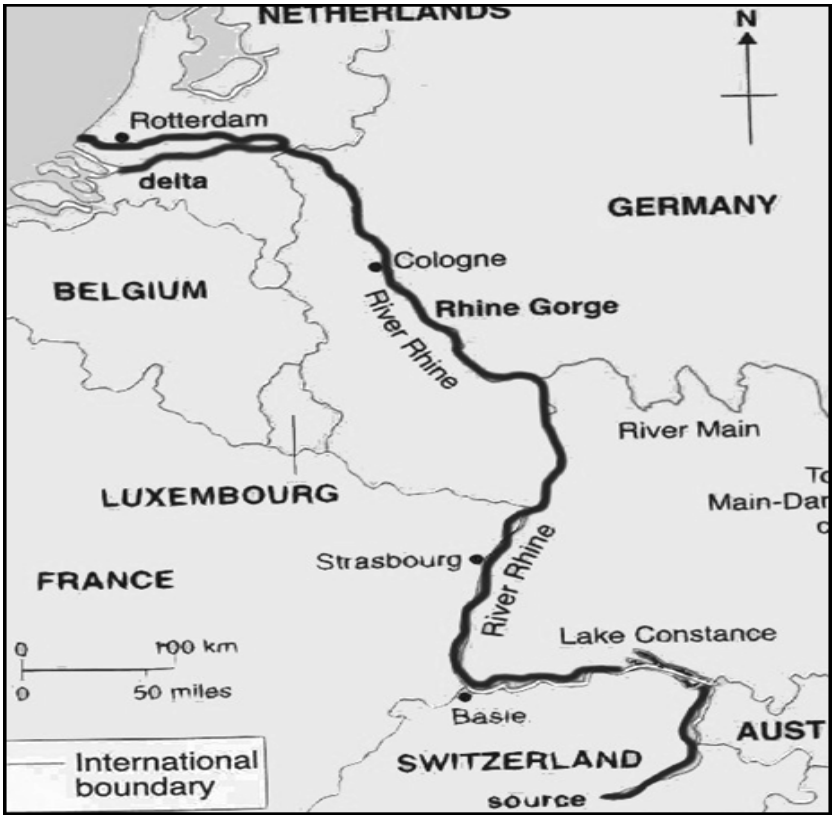

(نهر الراين والحدود السياسية)

ثانياً: الحدود الهندسية

إذا كانت الحدود التي تسير مع مظاهر طبيعية قد ورثت التخوم القديمة وتطورت عنها خلال العصر الحديثة ، فإن الحدود الهندسية قد أورثها الاستعمار بعد مرحلة التحرر ، لذلك نجد أنها تنتشر بأفريقيا

والدول المستعمرة بعد الكشوف الجغرافية كأمريكا الجنوبية وتظهر كذلك في أمريكا الشمالية ، وتتسم هذه الخطوط بأنها فلكية الطابع أي أنها تتخذ من خطوط الطول ودوائر العرض مسارات لها.

ونتيجة لذلك تبدو علي هيئة خطوط مستقيمة تفصل بينها نقاط معروفة أو تماس الدوائر وأنصاف الأقطار ، وتنطلق من معالم واضحة وعلي أبعاد متساوية ، وتبدو عليها الصفة الهندسية التي ارتبطت بها.

ويري عديد من السياسيين أن الحدود الهندسية من أفضل أشكال الحدود إذ ما خُططت بالأراضي العذراء أي أنها تسبق الاستقرار البشري ومظاهر العمران حتي تتفادي مشكلات التقسيم وتشتيت السكان ذي الأصول المشتركة بين أكثر من دولة.

تبدو صعوبة الحدود الهندسية في رسمها حيث أنها نظرية في المقام الأول أي يسهل رسمها علي الأوراق أما توقيعها عملياً غايةً في الصعوبة من حيث النفقات والمجهودات الكبيرة، وتثير كثيرٌ من المنازعات وخاصة عند تجاهلها الواقع التي تمر به ، لذلك تمثل الحدود الهندسية أصعب أنواع الحدود عند رسمها وتنفيذها علي أرض الواقع.

(نماذج من الحدود الهندسية)

ويمثل المرسوم الذي وضعه البابا ألكسندر الثالث بناءً علي طلب كل من "إيزبيلا وفرديناند" ملكي أسبانيا وذلك لتحديد النفوذ الأسباني والبرتغالي من الأراضي المكتشفة من قبلهما في نهاية القرن الخامس عشر ، حيث اقترح البابا عام ١٤٩٤م أن يكون خط طول ٤٧ غرباً فاصلاً للنفوذ بين الدولتين ، ويمثل هذا الحد نموذجا تاريخياً للحدود الهندسية.

ويندرج تحت نمط خطوط التقسيم المستقيمة هذه الحدود التي تفصل السيادة علي مناطق النفوذ البحرية وما تشمله من جزر وأرصفة قارية ومياه دولية ، مثال ذلك الخط الفاصل بين آلسكا (الولايات المتحدة) وسيبريا (روسيا) ، وأيضاً الخط الذي يفصل بين الجزر الإندونيسية والجزر الفليبينية

ومن أبرز مثالب الخطوط الهندسية عدم مراعاتها أحياناً لعديد من المظاهر البشرية التي تخترقها ومن ثم لا تأخذ في حسبانها الاعتبارات الحضارية المشتركة والقوميات ذات الأصل الواحد ، مما ينجم عنه مشاكل خطيرة، ومن أبرز النماذج علي هذه المشكلات" شعوب غرب" أفريقيا والتي كانت مستعمرة من عدة دول غربية (بريطانيا-فرنسا-ألمانيا-بلجيكا) وعند ترسيم الحدود السياسية لم تراع الوحدة القبلية لها، كشعب الأيوي أو الأشانتي حيث توزعت هذه القبائل علي أكثر من وحدة سياسية بين غانا وتوجو وساحل العاج ، مما جعل الشعب الواحد يخضع لنظم سياسية واقتصادية مختلفة ، وتحدوهم الآمال في لم الشمل مرةً أخري.

تعد مشكلات الحدود الهندسية في أفريقيا من أبرز مثالب هذه الحدود ، فلا يقتصر الأمر علي غرب أفريقيا بل في وسطها وتمثل قبائل "التوتسي والهوتو" أبرز نماذج لذلك، حيث تنتشر بين كل من أوغندا ورواندا وبورندي حتي زائير في الغرب وغني عن البيان المشاكل التي تعيشها المنطقة حالياً و الذي أودي بأكثر من ٢ مليون شخص من هذه

القبائل في صراعات داخلية ، وينطبق نفس الوضع علي شرق أفريقيا حيث قبائل الماساي والزاندي وتشتتهما في تنزانيا وكينيا وغيرهما.

لذلك يجب إعادة النظر في تعديل الحدود السياسية لعديد من الدول الإفريقية حتي يتسني جمع شمل الشعوب ذات الأصول القبلية الواحدة ، حتي يسود الاستقرار السياسي أنحاء القارة التي تمزقها الصراعات والحروب الداخلية وتمثل القبلية أبرز سماتها وأهم وقود لها.

مشكلة الحدود الجنوبية في مصر

كانت للحدود الفلكية في مصر مشاكلها ، حيث فرض الاحتلال الإنجليزي خط عرض ٢٢ °شمالاً كحد فاصل بين مصر والسودان ، وخط طول ٢٥ °شرقاً يفصلها عن ليبيا في الغرب ، وقد نجم بعد ذلك مشكلات إدارية علي هذين الحدين مثل مشكلة "حلايب" علي الحدود المصرية السودانية ، و هذه المنطقة عبارة عن مثلث يمتد لمسافة ٢٠٠كم علي ساحل البحر الأحمر ، وتبلغ مساحته الكلية حوالي ١٢٥٠٠كم٢.

بعد ترسيم الحد الجنوبي لمصر وهو دائرة عرض ٢٢° شمالاً حسب اتفاقية عام ١٨٩٩م ، اقترح حاكمي بربر السوداني وأسوان المصري في عام ١٩٠٢م وضع حدين إداريين داخل مصر ، وفعلاً أصدر وزير الداخلية المصري حينذاك (مصطفي باشا فهمي) قراراً بتعديل الحدود في ثلاثة مواضع بمناطق (مثلث حلايب، منطقة بارتازوجا ، أدندان بوادي حلفا) وُسمح للقبائل السودانية بدخول منطقة حلايب دون أي إجراءات وفي المقابل سمح لقبائل العبابدة المصرية أن تدخل منطقة بارتازوجا (٦٠٠كم٢) السودانية ليكون الاتصال بين العبابدة علي الجانبين سهلاً.

اعتبر وزير الداخلية أن هذا التعديل مسألة داخلية لا تمس الحدود الدولية المتفق عليها سابقاً (١٨٩٩م) ، وفي عام ١٩٠٧م ألغي الأمر الخاص بمنطقة مثلث بارتازوجا وأنهت بحيرة ناصر منطقة أدندان وظلت

حلايب تمثل مشكلة يطالب بها السودانيون كأرض سودانية ، وإن كان الواقع خلاف ذلك.

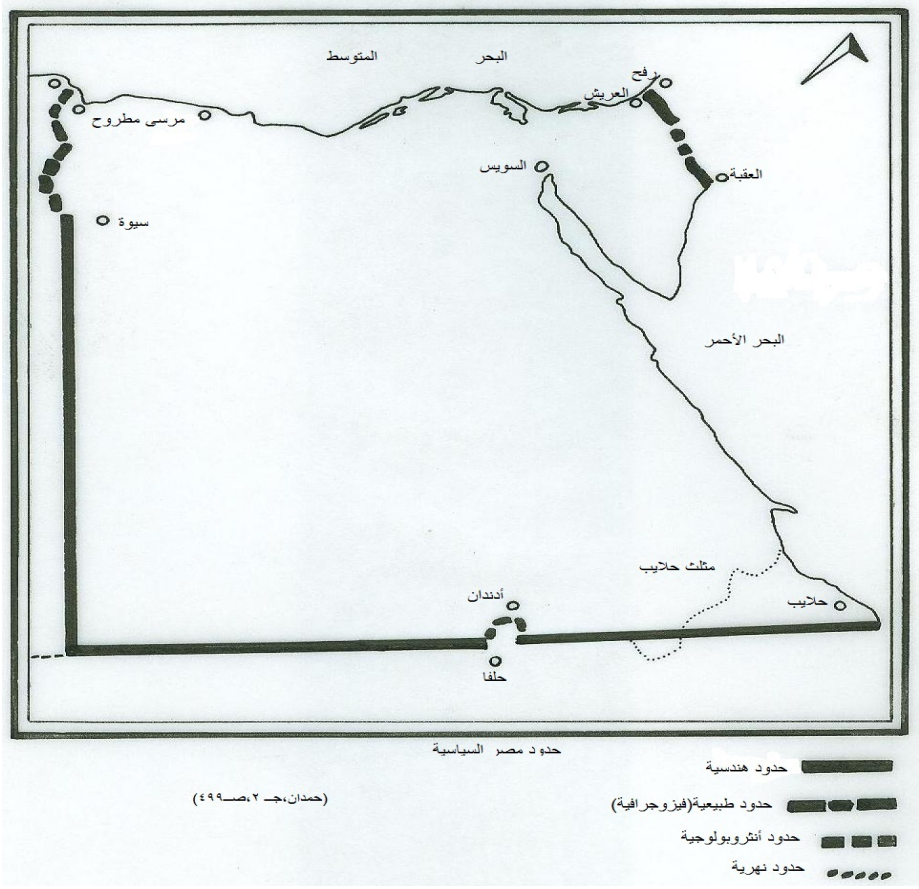

وإن كانت مشكلات الحدود الهندسية متعددة وأحياناً معقدة ، إلا أن هناك بعض الحدود الهندسية النموذجية من أبرزها الحد السياسي بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية و الذي يمتد لمسافة أكثر من ٢٠٠٠كم ، ويسير مع خط عرض ٤٩ْ شمالاً، وهناك أيضاً خط الهدنة بين الكوريتين و الذي أُعتبر خطاً فاصلاً ويتفق مع خط عرض ٣٨ْ شمالاً ، وأيضاً الخط الذي كان يفصل بين كل من فيتنام الشمالية والجنوبية وهو خط عرض ١٧ْ شمالاً وإن توحدت الدولتان وأُلغي هذا الخط الفاصل.

والخلاصة أن الحدود السياسية سواء كانت حدوداً طبيعية أو حدوداً اصطناعية عبارة عن خطوط رسمها الإنسان علي الخرائط لتحدد الأراضي التي تباشر فيها الدولة سيادتها والحدود السياسية تختلف في مفهومها السياسي عن مناطق الحدود(التخوم) إذ أن هذه المناطق عبارة عن مساحات خالية تفصل بين دولتين متجاورتين بغرض منع الاعتداء والتصادم بينهما وهي بذلك تختلف أيضا عن المياه الإقليمية التي تمثل شريط المياه المجاور لسواحل الدولة والخاضع لإشرافها وسيادتها.

- المراجع

- أبوالفدا (عماد الدين إسماعيل ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان- باريس ـ ١٨٤٠م.

- حسين مؤنس ـ مصر ورسالتها ـ القاهرة ـ ١٩٧٣م.

- جمال حمدان ـ شخصية مصر ـ المجلد الثاني ـ القاهرة ـ ١٩٨١م.

- جمال حمدان ـ الجمهورية العربية الليبية، دراسة في الجغرافيا السياسية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣.

- فتحي أبوعيانة ـ الجغرافيا السياسية ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٩م.

- عباس عمار ـ المدخل الشرقي لمصر ـ القاهرة ـ ١٩٤٦م.

- عيسي إبراهيم ـ جغرافية مصر ـ الإسكندرية ـ ١٩٩٨م.

- محمد محمود الديب - الجغرافيا السياسية "منظور معاصر" - القاهرة

- محمد إبراهيم صالح- الجغرافيا السلوكية - الرياض - ١٩٨٧- ص ص ٣٠-٤٠.

- محمد السيد غلاب وزملائه، الجغرافيا السياسية، القاهرة، ١٩٦١.

- محمد فاتح عقيل، مشكلات الحدود السياسية، الإسكندرية، ١٩٦٣.

- محمد عبد الغني سعودي، الجغرافيا والمشكلات الدولية، بيروت، ١٩٦٨.

- يسري الجوهري - الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية - الإسكندرية - ١٩٨٦ - ص ص ٥-١٥.

المراجع غير العربية:

- Alexander, L., World Political Pattern, Chicago, 1957, PP. 25-40.
- Jackson, W., Whither Political Geography? A.A.G., Vol. 48,1958, PP. 170-158.
- Hartshorne, R., The functional approach in Political Geography, A.A.A.G., Vol. 49,1950, PP. 85-90.
- Cohen, B., Geography and politics in a divided World, London, 1964.
- -Bogge, S.W., International boundaries, A study of boundary functions and Problems, N.Y., 1940.
- -Bowrran, C., The new World problems in political geography, N.Y., 1921.